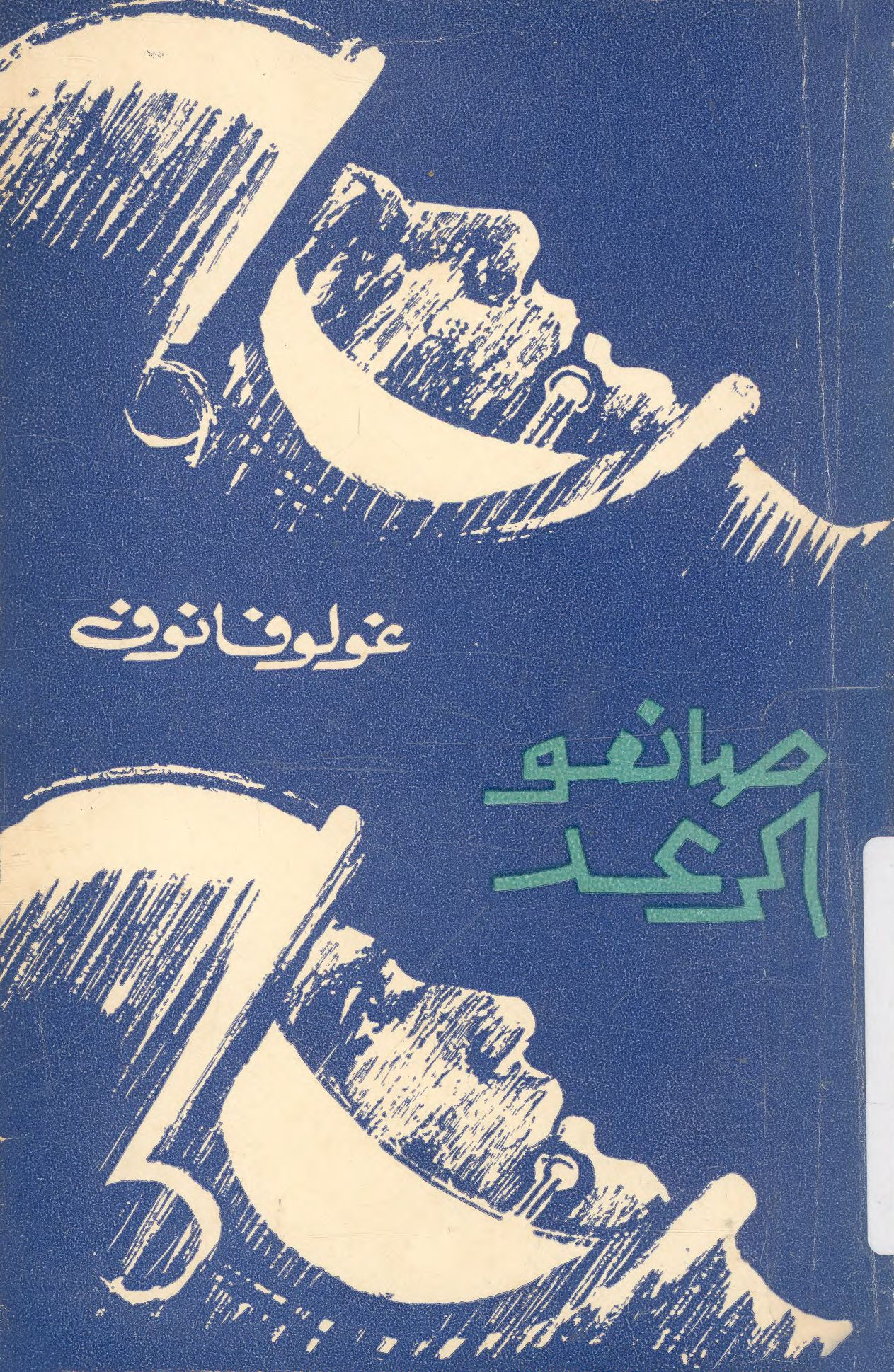

غولوفانوف
صانعو الرعد

هذه القصة عن مستقبل الملاحة الكونية ، عن اطلاق سفينة كونية تحمل اناسا الى المريخ .

إلا أنها لا تبدو خيالية ، لأنها تتحدث عن مهندسي الصواريخ العاملين على إنشاء السفن الكونية . مكتب كبير المصممين ، المختبرات ، حجرات الاختبار ، المطار الكوني . هنا ، في جو الابداع والصداقة يعمل ابطال قصة ياروسلاف غولوفانوف «صانعو الرعد» وينهمكون ويحبون .

ولد ياروسلاف غولوفانوف في عام ١٩٣٢ . وقد تخرج من المدرسة التكنولوجية العليا باسم باومان في موسكو وهو يعمل في موسكو في معهد للابحاث العلمية . ومنذ عام ١٩٥٨ يشتغل في الصحافة . وقد كتب عدة كتب علمية مبسطة . و«صانعو الرعد» اول قصة لياروسلاف غولوفانوف سرعان ما لقيت استحسان القراء سواء في الاتحاد السوفييتي او خارجه .

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية

غولوفانوف



دار التقدم
موسكو

ЯРОСЛАВ ГОЛОВАНОВ

КУЗНЕЦЫ ГРОМА

На арабском языке

انحنـــاءة احترام كبيرة لكم
ايها الناس !
لكم ، يا عظماء
بلا اسماء .
روبرت روجيستفنسكي

١

غرفة المكتــب الصغيرة لكبير المصممين . على يسار منضدة الكتابة لوحة التوجيه عليها ازرار ، ومكروفون ، وتلفونان احدهما اعتيادي اســود ، والآخر ابيض مطبــوع على قرصـــه شعار سوفييتي مذهب ، بينمـــا وضعـــت على طاولة صغيرة مستديرة كرة تمثـــل القمـــر ، وصحن فيه تفاحتان حمراوان .

ووراء منضدة الكتابة يجلس رجل يبدو عليه الوهن والتعب في نحو الخمسين من عمره متين البنيان ذو شعر أشيب قصير ، ونظارتين مؤطرتين بإطار ذهبي رقيق . يداه تلعبـــان

بقلم أحمر سميك . توجد اقلام اعتيادية جداً كتب عليها «خاص» .

وامام منضدة الكتابة طيار برتبة ملازم ، فتى كتاني الشعر يبيح لنفسه رفع الكلفة ، فهو لا يقف «وقفة استعداد» بل وقفة طبيعية توحي بحديث غير رسمي . وفي نفس الوقت يحاول ان يبدو مركز التفكير حسن التصرف . ويسأل الرجل الجالس وراء المنضدة :

— يعني أنت في محل تشانتوريا ؟

— بالضبط — اجاب الملازم بلهفة .

— حسناً .

ويُفتح الباب قليلاً بهدوء ، قليلاً بالذات ، ويدخل سيرغي .

— ادخل — يقول الرجل الجالس وراء المنضدة بتكاسل ، وبلا ظل لأي ترحيب — انت من مختبر باخروشين ؟

— نعم ، يا ستيبان تروفيموفتش — يؤكد سيرغي ذلك .

— اسمك ...

ويفهم سيرغي ان الكبير لا يتذكر الإسم ، لا يتذكر لانه لا يعرفه . فيقول :

– شيرشوف .

– يعني انت شيرشوف ؟ – وينظر الرجل الجالس وراء المنضدة الى سيرغي بفضول مكشوف .

– وماذا ؟

– لا شيء – يقول ستيبان تروفيموفتش في مرح مستوعباً وجه سيرغي في ذاكرته – تعارفا . هذا الرفيق في محل تشانتوريا ...

قدّم سيرغي يده :

– سيرغي .

وانشق وجه الملازم عن ابتسامة :

– رازدولين .

– إصحبه الى البناية الخامسة . وأره الآلة . الآن توجد دراسة هناك في هذا الوقت بالذات – يقول الرجل الجالس وراء المنضدة لشيرشوف ويلتفت الى الملازم ويسأل – هل بطاقة دخولك على ما يرام ؟

– تماماً – يجيب الملازم برغبة مرحة .

ويخلع الرجل الجالس وراء المنضدة نظارته ، ويقلص عينيه ، ويأخذ اوراقاً من زاوية المنضدة . ذلك يعني ان الحديث قد انتهى ...

وها هما الآن يسيران في باحة المصنع الرحبة . والفصل ربيع . والسماء نيسانية ساطعة صافية . وفي ظل البنايات الازرق يرقد ثلج موحل يفوح في عذوبة برائحة قبو رطب ، وما تزال هناو هناك اقلام جليد متدلية من السطوح نقية كالبلور ، لامعة ، إلا ان السطوح جافة . وعلى احدها ينبطح صبّاغان على بطنيهما عاريّين الى الخصر . صبغا كل السطح تقريباً ، ولم يبق لهما غير بقعة جُزيرة صغيرة جافة ودافئة ، والدرب الى سلّم الحريق .

والبنايات الجديدة الفاتحة اللون ذات الشرائط الزجاجية العريضة اللامعة تقف في استقامة ورحابة . ويسير الرجلان في درب اسفلتي ملتفين حول البرك التي تسبح بها سحب رقيقة . واحياناً ينظر سيرغي بطرف عينيه

الى راز دولين ، ويفكر في نفســه : «لا يمكن ان يقارن بتشانتوريا . لقد كان تشانتوريا نسراً » .

وفجأة !.. أهتز شيء في انبوبة ميــاه المطر الفضية ، وأنقطع وانحدر الى الاسفل بخشخشة عالية مخيفة . وتساقطت من فتحة الانبوبة قطع جليدية حادة . وابتعد رازدولين جانباً بالغريزة وهو بعد لم يعرف ماذا حدث . وفكر سيرغي في تكدر حانق : «أهذا الرجل سيطير الى المريخ ؟»

٢

في الغرفة ست مناضد للكتابة . والغرفة كبيرة منيرة ذات نافذتين . وحين تقترب مــن النافذتين ترى البنايات الجديدة ذات الطوابق الاربعــة للمختبر الســابــع عشر ، والطرقــات الاسفلتية المغروسة على جوانبها اشجار الحور الفتية ، والحوض الصغير المسوّى بالاسمنت والذي يتصاعد فوقه البخار دائماً بقطع ممزقة :

فالمختبر السابع عشر يفرغ هنا الماء الحار من حجرة الاختبار . وفي الشتاء تكتسي اشجار الحور عند الحوض اردية ثلجية دائماً .

على قاعدتي النافذتين في الغرفة زهرتان ذابلتان ، وقدح ، ودورق ماء مختوم بطبعات الايدي . وقد شدت احدى الزهرتين من الاسفل برعاية الى ذراع مخدشة لمسطرة لوغاريتماية مغروسة بالارض ، وفي سقف الغرفة اربعة مصابيح سقفية بيضاء مخروطية كئيبة لا تلاحظ ، وهذا ما يسر رئيس القسم الاداري الاقتصادي العدو بشكل عام لكل تغيير في حياة المهندسين مهما يكن هذا التغيير .

في الغرفة ست مناضد «وجهها» الى النافذتين تنتظم في صفين وفي كل صف ثلاث مناضد . وستة مقاعد . لا ، بل خمسة مقاعد . فوراء المنضدة الاولى القريبة من النافذة في الصف الايسر كرسي ذو مساند بلا فرشة . والمناضد متشابهة صفراء ولكل منضدة خزانة واحدة ، مناضد ليس هناك اكثر تواضعاً منها ورخصاً .

والناس الذين يعملون وراء هذه المناضد غائبون الآن . وغيابهم جميعاً لا يحدث غالبا ، ولكنه يحدث في بعض الاحيان . وبوسع المناضد نفسها ان تتحدث بشيء ما عن هؤلاء الناس .

ان منضدة بوريس كودسنيك ، صاحب الكرسي الوحيد ذي المساند ، مغطاة بزجاجة سميكة وتحت الزجاجة تقويم من تلك التقاويم التي توضع على المكاتب فيه اعلان عن صناديق التوفير ، وصورة فوتوغرافية لصبي ذي عينين واسعتين ، وجداول مرسومة رسماً دقيقاً لا يعرف الغرض منها ، ولا معاني حروفها وارقامها إلا شخص واحد هو كودسنيك . وقلم الحبر المستخدم على المكتب والمصنـــوع على شكـــل صاروخ ، والتلفون ، والكرسي ذو المساند تميز منضدة كودسنيك عن المناضد الاخرى بشكل تستطيع معه العين الخبيرة ان تحدس في الحال انها منضدة الرئيس . وليس في ذلك خطأ . فان كودسنيك رئيس قسم . والخمسة الآخرون موظفو قسمه . وكودسنيك غائب الآن ، فقد استدعـــاه الرئيس باخروشين قبيل الاجتمـــاع

الكبير ، عند كبير المصممين لجلسة تحضيرية كان يضيفها على كل اجتماع كبير .

والى يمين منضدة كودسنيك توجد منضدة سيرغي شيرشوف الشخص الذي يقود الملازم رازدولين الآن الى الورشـــة الخامســـة . ومن المصادفة المحـــض ان لا يكـــون شيرشـــوف في الغرفة . انهم لم يستدعـــوه ، بل استدعـــوا كودسنيك ، ولما كان كودسنيك غائباً قالت انتونينا نيقولايفنا سكرتيرة الكبير : «ولكن لا يهم ، ليأتِ أي شخص من قسمه» . وذهب سيرغي شيرشوف بسرور . ذهـــب بسرور ، ولكن هذا لا يعني مطلقـــاً أن سيرغـــي هو متزلّف يهتبل أية فرصة مريحة أو غير مريحة ليحوم امام انظار الكبير إذ لا يوجد متزلفون بين الناس العاملين في هذه الغرفة . بل لمجرد ان سيرغي أحب أن يذهب الى س ت (كان مألوفـــاً ان يسمـــى كبير المصممين بالحرفين الأولين من اسمـــه واسم ابيـــه . وكان هذا الرجل موضع احترام صادق ، ولم يذهب أحد الى حدِ رفعِ الكلفة ، كان يسميه «ستيبان»

او «تروفيمتش» . بل جرت العادة ان يسمى باخروشين «باخ» والاندر من ذلك «شيف» * وأن يسمــى كبير المصممين «س . ت ..»)

وهكذا ، لم يكن على المنضدة الثانيــة ، منضدة سيرغي شيرشوف ، غير اسطوانة من الالومنيوم المخلوط تقــوم مقــام كل ادوات المكتب . وفي الاسطوانة اقلام مبروءة برياً حاداً جارحاً مثل سهام في جعبة . وهذا كل شيء . إن شيرشوف لا يحب أن تؤخذ منه الاقلام . ليس لان الاقلام يمكن ان تكسر ، بل تثــلم سنانها ، وشيرشوف يحب الاقــلام الحــادة السنان .

ووراء كودسنيك توجـد منضــدة تينــا كوزنيتسوفا . وهي مغطاة بورقــة مربعــات مليمترية مقلوبة تُغير اكثر مما يغير فيكتور بويكو قميصه . والصفحة النظيفة بنقاء عذري شوهت ببعض الخطوط العجولة لارقام التكامل لها اعناق رقيقة مثل اعناق البجع وملاحظة للتذكر : «اعطاء القائمة لكفاشنين !»

* تعني الرئيس باللغة الانجلزية . الناشر .

وجار نينا من اليمين هو فيكتور بويكو نفسه الذي ذكرت قمصانه آنفاً . وعلى منضدته ، كومة من الاوراق والرسوم التكنيكية التي تختفي قبيل انتهاء يوم العمل ، وتنمو من جديد في كل صباح بسرعة سحرية . وقد تعود جميع المشتغلين في الغرفة على هذا . ومن اجل هذا لامه باخروشين في سورة الغضب ذات مرة ، على انه لم يطلع باية نتائج ملحوظة . ونينا وفيكتور الآن يدرسان قرب الآلة في الورشة الخامسة .

وعلى الجدار بالقرب من المنضدة الخامسة دبست بدبابيس حائطية مفلطحة صورة فوتوغرافية خلعت من مجلة المانية مصورة تمثل قطة قلصت عيناً واحدة . وتحت القطة جدول للمسابقة على بطولة كرة القدم . وعلى المنضدة قنينة حبر لأقلام الحبر . يأخذ الجميع الحبرمنها . وعلى هذه المنضدة يعمل ايغور ردكين .

وأخيراً تعود المنضدة السادسة الاخيرة الموضوعة وراء نينا الى يوري مايفسكي ، وهي ايضاً مغطاة بورقة مربعات مليمترية ، ولكنها

ليست مقلوبة على ظهرها . وعلى مربعاتها اللانهائية عشر من الزخارف التجريدية – ثمار اللعب اللاواعي للعقل .

وعلى منضدة مايفسكي ادوات مكتب : محبرتان على صفحة مرمرية . وادوات المكتب تقيد مايفسكي كثيراً ، إلا أنه ، لسبب ما ، لا يبعدها عن مكتبه ، رغم انه يهدد عدة مرات بان يفعل ذلك .

وهكذا ، يوجد في الغرفة ست مناضد ، والغرفة هذه جزء من مختبر البروفيسور فيكتور بوريسوفتش باخروشين – حجيرة غير منظورة تقريباً في نطاق خلية انسانية هائلة ، في المجموعة العملاقة للمختبرات ، وحجرات الاختبار ، ومكاتب التصميم ، وورشات الانتاج التجريبي ، وعشرات من الحلقات الموضوعة في خدمتها ، ابتداء من محطة الكهرباء الصغيرة والمكبس وانتهاء بمكتبة المؤلفات الخاصة ، والمستوصف الجيد جداً ، والمطعم .

وفي هذه الغرفة يعمل ستة اشخاص من آلاف على غرارهم .

٣

حُضّر للاجتماع التنسيقي الكبير منذ وقت طويل ، وقد بدأ ، كما يفترض بمثل هذه الاجتماعات ، بلا تأخير ، في الساعة الحادية عشرة تماماً .

وقد عقد في غرفة اخرى لكبير المصممين خاصة بالاجتماعات ، كبيرة وعالية السقف وذات اثاث مغرق في عصريته . مناضد مصقولة لامعة كالمرآة ذات ارجل مائلة قليلاً الى الجوانب . ومع ذلك فقد وضعت حسب التقليد القديم ، لا بد من انه يعود الى ما قبل عهد بطرس الاول ؛ على شكل حرف T . وفي نقطة التقاطع يجلس الكبير . والكراسي كلها مشغولة . كما جلس اناس في المقاعد المنحنية المفروشة باللدائن الحمراء اللامعة ، والمصفوفة عند الحائط . ثلاثون شخصاً بالمجموع . او ربما اكثر . وهناك اشخاص كثيرون ليسوا من هذا المكان ، وغير معروفين . غير معروفين على اية حال لكودسنيك . وهو يجلس قرب الحائط ؛

نقطة ضئيلة اصغر من ان تجلس الى منضدة . وباخروشين (ها هو جالس الآن وراء المنضدة) يعرف الجميع تقريباً . وس ت يعرف الجميع طبعاً . والاجتماع قد بدأ منذ ساعتين تقريباً ، ونهايته ما تزال في طي الغيب . والرياضيون هم الملومون : ظلوا وقتاً طويلاً جداً يضللون الـــرؤوس بتقريرهــــم عـن خطـــوط السير . وصدق الرئيس بالرياضيين عارفاً بان كل شيء كان مهيئاً عندهم منذ اربعة اشهر ، وقد تأثر بتفاصيل تقريرهــــم ، ولم تقلقـــه خطـــوط السير : فالمسألـــة لا تخص هذه الخطـــوط الآن . وثارت اعصاب ستيبان تروفيموفتش : انقضى وقت طويـــل ، وخشي ان يمـــر على المسائل الاخـــرى الاكثر اهميـــة من خطـــوط السير مراً سريعاً . وكان يدرك لوأن احداً من الحاضرين يشرع في «تقليب المسألة أسرع» معطياً للحديث بعمله هذا نغمة وايقاعاً آخرين فإن تصحيح الوضع سيصعب حتى عليه بوصفه رئيســـاً . وكان الرئيـــس خبيراً في اجراء الاجتماعات ، ولهذا السبب فرح لأن التقرير

عن ج م م — الجهاز المفرمل المحرك — كان بالرغم من قصره عملياً ومفصلاً .

ويقول الكبير :

— اذن كل شيء واضح بالنسبة ل « ج م م » فلنتقدم أبعد . خدمة الشمس . حالة الفضاء لمدة التحليق . أرجو من يولي ياكوفليتش ان يتكلم .

وكودسنيك يعرفه . إن يولي ياكوفليتش فينغروف عالم فلكي ، أكاديمي . ويفكر بوريس بحسد : « إسمرً الشيطان ! طاب له المقام هناك في القرم . منتجع للراحة ولا عمل » . وفي الواقع كان فينغروف يبدو في مظهر ممتاز . انه ليس كبير السن ليكون اكاديمياً فضلاً عن اكاديمي فلكي — في الاربعين من عمره أو في الخامسة والاربعين على أكثر تقدير . حسن كله وجميل واسمر البشرة وقوي العنق فتيه . وعلى العنق ياقة ناصعة منشاة يلوح العنق من نصاعتها اكثر سمرة . ويفكر كودسنيك : « آه لو يُنتزع من باخ ايفاد اليه في القرم » . ولكنه يعرف ان ذلك مجرد أحلام ، إذ لم

1—1774

يحدث قط أن أوفدوا احداً الى القرم . وفي صريح القول ليس من حاجة الى ذلــك ... بينما كم يود هو لو يذهب الى القرم . وكان قد قضى اجازته في كوكتبيل في العام الماضى . رائع ! ثم وُلِد ميشكا و ...

بينما كان كودسنيك يعيد ذكرياتــه بدأ الاكاديمي كلامه :

ـ ايها الرفاق ! الاخبار عندنـــا قليلــة البشرى . منذ شهرين وعملية الضغط الدوري السريع لحقول الشمس المغناطيسية تجري في تعاظم . وهذا يؤدي الى تدفئة قصيرة الاجل بغاز الشمس ما بين ثلاثين الى خمسة وثلاثين مليون درجة مئوية . والتدفئة السريعة بدورها تؤدي الى ظهور اشعة إكس ، وإفراز جزئيات ذات طاقات كبيرة بما في ذلك حزم مركزة من البروتونات تصل طاقتها الى مائة وعشرين مليون الكترون فولت ...

ـ كم ؟ ـ قاطع الاكاديمي رجــل ضئيــل أصلع جالس مقابل باخروشين ، قاطعه بحدة .

ـ الى ١٢٠ مليون الكترون فولت ـ كرر

الفلكي بهدوء ـ لا توجد أية أسس للظن بأن هذه العمليات ستنتهي قبل تموز ، بل بالعكس يمكن التكهن بأنها ستتقدم حسب ما رسم لهـا بحيث ...

ـ ولكن يا ستيبان تروفيموفيش ـ توسل الرجل الضئيل الاصلع الذي تورد رأسه في الحال تورد رأس طفل رضيع ـ إن هذا يفوق ، في حالة بقاء جهازنا القديم للحماية البيولوجية ، الجرعة المسموح بها من الاشعاع . ليست الـ ١٢٠ مليونـاً مزاحا ! ـ وتلفت فيما حوله داعيـاً المجتمعين الى مشاركته في تذمره .

ـ اعذرني يا يولي ياكوفليفتـش ، هـذه توصياتك ، ـ قال كبير المصممين وهو يخرج من ملف مجموعـة من الاوراق المُدبسـة بمشبك ـ صمم جهاز الحماية البيولوجية انطلاقاً منها . ولا ذكر لأي ١٢٠ مليونا هنا .

كان كودسنيك قد اشترك من قبل في مثل هذه الاجتماعات ، وكان يعرف ان لهجة س ت المسترضية الرقيقة تقريباً لا تبشر بشيء طيب .

— يا ستيبــان تروفيموفتــش ، طلبــت المعدل السنوي لكثافة التفجيرات ، وقد اعطيناه لك — وجلس فينغروف .

— نحن لم نطلب شيئاً — انتهت النغمات الرقيقة ، وفكر بوريس مع نفسه : « ستبدأ » — نحن بحاجة الى توصيات بخصوص جهــاز الحماية البيولوجية . وقد حصلنا عليها . والآن قدمتم التوصيات يتوضح منها ان معطياتكم منخفضة .

— لو كان بوسعنــا التنبؤ بحالة الشمس لسنوات لما كانت هناك حاجة الى هذا الحديث .

— ولكنكم تفهمون اننا لا نستطيع تغيير جهــاز الحماية البيولوجية ؟ كل كيلوغــرام محسوب عندنا ...

— الظاهر ، يا ستيبان تروفيموفتش ، أن هذه المسألــة تتوقــف على الفيزيائيين البيولوجيين — قال فينغروف ذلك ولم يستطع ان يضبط ضيقه بعد هذا .

فانفجر الكبير قائلاً :

— هذه المسألة تتوقف عليكم ! سأبلغ عن تقصيركم عن اجراء البرنامج الذي صادقت

عليه الحكومة ! عند ذاك لن نتحدث هنا ...
بل هناك – واشار بابهامه الى فوق – ستقولون انفسكم من اين تأتي بروتوناتكم ...
فرد الاكاديمي :
– لا يقل نشاط الشمس بهذا !
– الشمس ليست المقصود هنا ، بل مسؤوليتكم ازاء عملكم ! ما حاجتنا الى قصاصات الورق المزورة هذه ؟ ! – وهزّ الرئيس الاوراق في الهواء – لاية اغراض تستخدم ؟ !
ولم يبتسم أحد ، ورأى كودسنيك كيف توترت رقبة الاكاديمي السمراء في ياقته المنشاة .
وصاح فينغروف :
– عليك ان تفهم اخيراً انه توجد عمليات متغيرة ...
– واردنا ان نبصق على عملياتكم المتغيرة ! كان يجب التفكير بالعمليات المتغيرة من قبل ! ماذا تأمرنا ان نفعل مع عملياتكم المتغيرة ؟ !
وتلفت الاكاديمي المهان ؛ وسأل الكبير الرجل الضئيل بعد ثانية من الاستراحة :

– يا اركادي نيقولايفتش ، كم كيلوغراما تطلبون اكثر لجهاز الحماية البيولوجية ؟

– اعتقد ثمانيمائة او تسعمائة كيلوغرام .

– فو ! ثمانيمائة او تسعمائة ! أتعرف اي شيء هذه الثمانيمائة اوالتسعمائة كيلوغرام ؟ ! – هجم الرئيس على فينغروف مرة اخرى .

وادرك كودسنيك ، ما ان سمع بهذا الرقم ، مبلغ جديته . هذا يثقل السفينة بطن من الحمولة تقريباً . كيف ؟

– اعذرني ، يا ستيبان تروفيموفتش . اعتبر استمرار الحديث في هذه اللهجة بلا معنى .

وفكر بوريس مع نفسه : «الآن إما ان تأتي موجة عاصفة أو يحدث جزر» .

– ممتاز ! لنستمع الى خبراء المحركات – قال س ت بهدوء .

وفهم كودسنيك «انه جزر» .

ونهض ممثل مصنع جبار للمحركات

جميلاً على سترته الأنيقة نجمة بطل العمل الاشتراكي .

– من غير الممكن تحسين المحركات بحيث تحمل زيادة ثمانيمائة أو تسعمائة من الحمولة النافعة في الموعد المضروب لنا . وهذا ما تفهمة نفسك يا ستيبان تروفيموفتش .

فقال كبير المصممين في تهليل وكأنما فرح بهذا الجواب :

– هكذا ! –ونظر الى فينغروف نظرة سريعة ، ثم قال وهو يلتفت الى باخروشين : ماذا يقول رئيس المختبر السابع ؟

نهض باخروشين بهدوء كبير ، وقال باختصار وبساطة واقناع ، كعادته دائماً :

– تتطلب زيادة الوزن معالجة جديدة لجهاز التوجيه ، حتى لو نضمن الهندسة القديمة . أما إذا لا نضمن – وهنا نشر باخروشين ذراعيه – عند ذاك أنتم انفسكم تفهمون . ستذهب الى الشيطان كل الاجهزة القديمة ، وكل شيء سيعاد من جديد ... وفضلاً عن ذلك تتطلب زيادة الحمولة النافعة جهاز فرملة

جديداً او تقوية الجهاز القديم . والوقت في كلتا الحالتين ، ضروري ، على الاقل ستة اشهر ...

وجلس باخروشين .

– عن أية ستة اشهر يمكن ان يجري حديث ؟ – سأل رجل الثغ كبير الأنف يرتدي نظارة . وكان بوريس يعرفه ايضاً ، إلا انه نسي اسمه ، انه من معهد الابحاث الفلكية ، وكرر الرجل – عن أية ستة اشهر يمكن ان يجري حديث ، إذا كانت مقابلة المريخ تبدأ في تشرين الاول ! يمكن ان تصنعوا جهازكم في غضون اربعة عشر عاماً حتى المقابلة التالية ...

فقال ستيبان تروفيموفتش بصوت مبحوح :

– لا احد يسمح لنا بتأجيل الاطلاق ، والخروج على البرنامج . هل هناك اقتراحات ؟

وران صمت طويل ثقيل . ودارت العيون . ولم ينظر أحد الى الرئيس . وفجأة قال بوريس كودسنيك غير متوقع هو نفسه ذلك :

– يجب التخلي عن مـلاح كوني واحد .
وهذا يوفر زهاء طن من الوزن ، ومكاناً للوحات الوقاية . لا يطير ثلاثة ملاحين بل ملاحان ...

واستدار الجميع على صوته ، ونظر الجميع اليه . وجهه جميل من الانفعال ، وحاجبـاه الاسودان منفرجان كثيفان ، وحنكه ينم عن العناد ، وعيناه شابتان جداً . نظر الجميـع اليه . ثم حوّلوا ابصارهم بهدوء الى الرئيس ليروا ماذا يقول ؟

٤

ورشة هائلة متعددة الطوابق . والورشـة الخامسة هي ورشة التجميع العام . اذا تصعد الى سطحهـا الزجاجي – هنـاك تحـت سكـك الرافعات المتحركة على أشرطة تتدلى خطاطيف مثل علامات استفهام ثقيلة واعقابهـا الى فوق – تجد امامك منظراً عامـاً هائلاً مذهلاً تحتل مركزه اجسـام الصواريخ العملاقـة – التراكيب الماردة الخارقة التي يمكن أن تنافس في ضخامتها الاهرامات العظيمة . والصواريـخ

مقطعة الى اجزاء - يعني ان موعد اطلاقها قريب . فعلى هذا الشكل فقط ، أي جزءاً جزءاً يمكن اخراج الصاروخ من الورشة ، وايصاله الى ساحة اطلاق الصواريخ . وسيكون هذا قريباً للغاية - في تموز ، اذا يحصل .

ويدخل شيرشوف الورشة يتبعه رازدولين . يدخل ويتوقف امام منظر الصواريخ . ويقول شيرشوف :

- هذه هي ...

ويسكت رازدولين . كان يعرف أنها كبيرة ، وكبيرة جداً ، ولكنه لم يفكر قط بأنها كبيرة على هذا النحو .

- العربة على ما يرام ؟ - ويبتسم سيرغي ، وينظر الى رازدولين من طرف عينه . ان سيرغي هذا ليس انساناً رهيف الحس . وكل أفراح الناس لا تهمه في شيء . انه يعرف أن رازدولين يرى الصاروخ لأول مرة ، ويفهمه ، ويتذكر كيف رآه هو نفسه ، لأول مرة (لا هذا الصاروخ ، بل صاروخاً قمرياً اصغر منه بقليل) ووقف حابساً أنفاسه .

ولكنه الآن يُري الصاروخ لرازدولين ، ولهذا السبب لا يبدي اية عواطف فرح . «هذا الأمر بالنسبة لي اعتيادي . معيشة» – وهذا ما يريد أن يظهره بابتسامته التكشيرية ، وبتعبير «العربة» . يريد أن يظهر ذلك ويكذب فيه ، لأنه كان يحس بالتأثر لمرأى الصاروخ دائماً ، مهما يكن عدد المرات التي رآه فيها ، ويشعر دائماً بشعور الفرح المعذّب بشكل حاد ، وهو ينظر الى أشخاص الناس الصغيرة بالقرب من الصاروخ ، الصغيرة والضعيفة بحيث يستحيل التصديق بأنهم هم الذين صنعوه .

– يوصلك بسرعة الريح – يتكلم شيرشوف ثانية ، ويفهم في نفس الوقت ان الاحساس بالتوازن يخونه . من يدري ، فقد يكون شيرشوف هذا رهيف الحس ، ويسأل بعد فترة صمت :– يعني انت الآن في محل تشانتوريا ؟

– نعم ، كما يبدو في الوقت الحاضر .

– بصريح القول اننا اندهشنا حين قال كوليا أنهم تخلوا عن تشانتوريا ... انه قوي كالثور ...

– حقاً انه قوي للغاية – وافق رازدولين
– ولكنه صار عصبياً بعض الشيء في الحجرة الساكنة فتخلوا عنه ... وفيمـا بعد أثـار ضجة قائلاً : «أنا انسان اجتماعي ، يجـب أخذ هذا بنظر الاعتبار ...»

وابتسم سيرغي .

– يبدو لك الأمر مضحكاً ، أما له ؟ أنا نفسي لا أفهم لماذا الحجرة الساكنـة في حين سيطير ثلاثة ... ولكن لا بأس ... هل نذهب ؟

– لنذهب ...

ويسيران نحو أحد الصواريخ ، ويصيران أقل فأقل لا لأنهما يبتعدان عنه ، بل لأنهما يقتربان منه .

٥

كانت الصواريخ معـدة «للمريـخ» وهي سفينة للسفر ما بين الكواكب تحمل على متنها اناساً . كان «المريخ» من الخارج بسيطاً وبلا تفنن . وكانت هذه البساطة ، كمـا يقـول

باخروشين ، «ليست من لطافـة الحيـاة» . فقـد أجبر جو الأرض المصممين على اللجـوء الى بدائية شكل خادعة .

لقد كان على «المريخ» أن يتحـول في طريقه الكوني الواسع مطيعـاً لارادة ربانـه . وستفتح مصاريع كوى الرؤيـة الوقائيـة ، وسيكشف السطح المحبب للبطاريات الشمسية . وستنمو ببطء من البذور الالكترونية المعقدة السيقان الطويلة الرقيقـة لهوائيـات الراديـو والتلفزيون المتفتحـة في نهاياتهـا عن زهـور فضية عجيبة . كانت تويجاتها مثل زهور عباد الشمس المتجهة نحو الشمـس ، متجهـة الآن نحو الارض .

ان هذه السفينة الكونية في طريقها الكوني الأسود ذي الملايين من الكيلومترات ستتحول ليس فقط بشكلها الخارجي ، بل وتبدأ حياتها المعقدة المحسوبة الى حد المليمترات والغرامات ، واجزاء الثانية الواحدة .

وبعد أن تتغلـب على جاذبيـة الكوكب تنطلق بدقة تفوق آلاف المرات دقة القطار

السائر على جداول التوقيت . تقودها قضبان
غير مرئيـــة لخط السير الى تلك النقطـــة
من الغور اللانهائي التي يجب ان تصل اليهـا
سفينة «المريخ» بعد ثلاثة أشهر من اطلاقها
خاضعة لقوانين الآليــة السمائيــة . ان تلك
القضبان تمتد على ملايين من عوارض القواعد
الحسابيــة . وكانــت هذه العوارض من الكثرة
بحيــث لو ان جميــع سكان الارض كانــوا
اخصائيين في الحســاب ، لمــا استطاعوا أن
يحصوا العدد الجبار لعلامات الاستفهام التي
تتضمنها . عند ذاك جاء العقل الالكتروني للآلات
الحاسبة ، القادر على أن يسبق الفكر البشري
بألف مرة جاء للنجدة . وقد حسبت مثل هذه
الآلات الانظمة الحرارية للمحركات من جميــع
الدرجات ، والتدفئة الايروديناميكية للجسم ،
واجدة حلاً للقضية العويصة المدوخة ؛ قضية
صيانة المعدن والانســان من الحرارة المماثلة
لحرارة سطح الشمس .

وقد وضعت في داخل السفينة محركات
للتوجيه ، ومحركات للفرملــة معــدة للهبوط

برفق ، ومستعدة للعمل في كل ثانية . وهذه المحركات هي التي أوكل اليها بعد ذلك ، الارتفاع بالسفينة من المريخ في الموعد المحدد بدقة : في ١٧ تشرين الاول في الساعة ٠٤ والدقيقة ٤٧ حسب توقيت موسكو .

وفي داخل السفينة انسحبت «سيقان» تلسكوبية أوكل اليها ان تخطو الخطوات الأولى على رمل الصحراء المريخية . وفي الداخل راديو ، وجهاز تلفزيوني - الناصح ، والصديق ، والأمل ، والفرح ، وصوت الوطن الحي ووجهه .

وفي الداخل يعمل دون صوت جهاز دقيق لضبط الحرارة ، وآلات اتوماتيكية لخلق جو اصطناعي ، وآلات اتوماتيكية أخرى تجدد هذا الجو في كل ثانية .

وفي الداخل طعام وماء - أحسن وأغذى وألذ ما استطاعت الأرض أن تطعم به وتسقي .

وكل هذا ، واشياء أخرى كثيرة كان يجب ليس فقط معالجتها ، وابتداعها ، وحساب حسابها ، بل **وصنعها** ايضاً . صنع امزجة لانظير لها من مواد ووقود له خواص

اسطورية ومواد لا وجود لها في كل المنظومة الشمسية . وكان يجب أن تصهــر ، وتصقــل وتخرط ، وتسبك ، وتقرض ، وتلحم ، وتبخر وتصعّد وتكرر ليس بشكل جيد فقط ، بل على نحو لا مثيل لــه من الجــودة . ان قوة المحرك تقاس بملايين الأحصنة ، ولكن بــاي شيء تقاس قوة ورقة الايــدي الانسانيــة الكابسة على ازرار آلات الكترونية مطنة طنيناً واطئاً ، ومندفعة بزاوية مطواعــة للمساطــر الكبيرة والضاغطة على المقابض العريضة كالنهر لآلات التصفيح ودفات الآلات اللامعة كالزيت ! الايدي الخشنة والناعمة ، الخفيفة كالطيور ، والثقيلة كالصخور الجلاميد ، الخرقاء والحاذقة ، الموضوعة في قفازات بيضاء ، وفي السخام ، المقلمة الاظافر المطلية بالمانيكير ، والمسودة الاظافر بالتراب الأسود ـ الايدي الانسانيــة الحية . بنى ملايين الناس هذه السفينة ، وربما ، غير عارفين جميعاً أنهم يبنونها هي بالذات . ولكنهم كانوا يعرفون شيئاً أكثر اهمية ، الشيء الرئيسي . كانوا يعرفون انهم يبنون المستقبل .

لا المستقبل الضبابي الناثـــي ، الذي سيصـــل اليه احفاد احفادهم ، والشبيه باسطورة وردية عن رياض الجنة ، بل المستقبل الحي ، القريب ، الصعب ، والصعب جـداً احيانــــاً ، ولكـــن ليس ذلك الذي آمنوا به ، بل ذلـك الـــذي صنعوه كل يوم .

ولربما لهذا السبب لم يبد الطيران الى كوكب المريخ خيالياً لكل هؤلاء الناس .

٦

فكر اندريـــه رازدولين وهـــو يقترب من السفينة أن سفينة «المريخ» تشبـــه قذيفـــة ابطال جول فيرن الذين طاروا الى القمر من مدفع . وبالقرب من «المريـــخ» الـــذي كان معلقاً فوقه بجنبه الاسطواني اللامـــع وقـــف طياران من فريق الملاحين الكونيين هما اناتولي اغاركوف ، ونيقولاي فرونتسوف ومهندســـان من قسم كودسنيك وهما نينـــا كوزنتسوفـــا وفيكتور بويكو .

ويقـــول اغاركوف لمـــا رأى رازدولين يقترب :

ــ هذا هو زميلنا الثالث تعارفوا .

ويمد بويكو يده :

ــ فيكتور .

ــ رازدولين .

ــ نينا .

ــ رازدولين ، اندريه .

وتقول نينا :

ــ هذا لطيف يـــا اندريـــه رازدولين . هل عملت في النموذج ؟

ــ طبعـــاً ــ ويبتسم اندريـــه ابتسامـــة عريضة ــ ثمانين ساعة .

ــ اذن فلنشتغل الساعة الحادية والثمانين لا على النموذج بل على السفينة .

وتصعد السلّم بمهارة معتادة الى فتحـــة « المريخ » . وتنورتها ضيقة ، والصعود صعب وتصعد نينا على جنبهـــا الى الامـــام . ويبتسم اندريه ناظراً كيف تسير . ان له عادة حمقاء ؛

يبتسم دائماً ، واحياناً يكون مظهره من جراء ذلك مظهر ابله .

مقصورة رحبة ، وكل الحيطان والارضية والسقف من البلاستيك الأبيض الناعم . وينظر اندريه حوله ، هناك ثلاثة مقاعد تشبه مقاعد الطائرة . وكل ذلك معروف له منذ وقت طويل . ولوحات الأجهزة كلها معروف . وحتى الازرار من ذلك اللون الموجود في النموذج . وشعر اندريه بملل .

تجلس نينا على احد المقاعد ، وتشير برأسها لرازدولين .

— اجلس .

ويجلس اندريه . وتقول نينا :

— أخطأت . هذا المقعد لاغاركوف .

ويبتسم اندريه مرة اخرى . وينتقل الى مقعده . ويفكر : «فتاة عجيبة ...» . وتقول نينا بلهجة صارمة :

— اذن ، لنبدأ .

فيقاطعها اندريه :

ـ سؤال واحد .
ـ منذ الآن ؟
ـ الأحسن مقدماً ..
ـ تفضل .
ـ كم عمرك ؟
ـ هل بدأت العمـل على النموذج بهذا أيضاً ؟

همَّ اندريه بأن يرد ، وفتح فمه بالفعل ، ولكنه ... لم يجد ما يرد به . وتسأل نينا في مرح :

ـ هل توجد أسئلة اخرى ؟ اذن لنبدأ . انت تعـرف الانطلاق . بعد الغداء سيسألك سيلزنيف عن الراديو والتلفزيون . هل تعرف سيلزنيف ؟

ـ لا .

ـ ستعرفه . سيعذبك باسئلته ... والآن اجبني على هذا السؤال . النزول في المريـخ . ارتفاع المدار اربعـون كيلومترا ، ودرجـة الحرارة داخل السفينـة ارتفعت الى خمسـة وثلاثين درجة مئوية . والزاوية ما بين محور

السفينة ومماس المدار عشر درجات مئوية . والزاوية ما بين محور السفينة وسطح المدار عشرون درجة مئوية . ولنفرض أن اغاركوف وفرونتسوف نائمان (ولسبب ما شاع المرح في نينا) ماذا ستفعل ؟

– أوقظ اغاركوف وفرونتسوف ، وأعطيهما فانيلتين نظيفتين ، فانهما ، في مثل هذا الحر ، يتصببان عرقاً ...

– اذا جئت الى هنا لتنكت ، فأذهب وأجلس في غرفة التدخين . فهناك عند عمال التركيب صالون للطرائف .

– يعني بسرعة تزعلين ...

– كفاية ! – قالت نينا بحدة .

ويفهم رازدولين أنه لن يستطيع المضي على هذا المنوال .

– قبل كل شيء أنقل منظم الحرارة الى ...

– لا حاجة الى أن تشرح شيئاً – تقاطعه نينا بذلك – بل افعله .

يمس اندريه العتلات ، ويضغط على

ازرار حمراء ، ويدير دفات بيضاء جميلة ، ثم يعود الى الاستلقاء على المقعد ثانية .

— جيد — تقول نينا ذلك — والشيء الرئيسي انك عملت بسرعة . والآن فرمل من مدار تابع للمريخ . على بعد عشر كيلومترات من السطح تزيد السرعة كيلومتراً في الدقيقة على ما رسم في التقدير .

— لا يمكن هذا — يقول اندريه في اقناع .

— حسناً ، الى خمسمائة متر في الدقيقة .

— أشغل جهاز المقاومة .

— مثِّلْ ذلك !

ويضغط اندريه مرة اخرى على شيء ما ، وينظر الى لوحات الارقام . وتسأل نينا :

— الى اين تنظر ؟

— انظر الى هنا — ويضرب اندريه باصبعه زجاجة الجهاز . وتبدأ وصاية الفتاة تضايقه : «هل أنا ابله للغاية بحيث لا اعرف اين انظر ...»

— تنظر بشكل صحيح ! — ولاح المرح على نينا ثانية لسبب ما .

ويفكر رازدولين : «تسخر !»
ويلتفت بحدة ، ولكنه يرى ضحكة في عينيها فيبتسم مرة اخرى ...

يقول فيكتور بويكو لاغاركوف وفرونتسوف وهو يمسح بتفكير جانب السفينة الناعم .
– لم يُطل الغشاء بعد . غشاء ممتاز ، غشاء من الدرجة فوق العليا . وقد ذهبت ورأيت كيف جربوه في القوس الفولتي ... طبقة رقيقة وضعوها في اللهب مباشرة . الشيطان يعلم كم كانت حرارته . ولكن لم تتأثر ابداً ! تحمر فقط ، وتشف قليلاً كالأذنين ...
– اي أذنين ؟ – يسأل اغاركوف بجد ، فيقول فيكتور مرتبكا :
– انت تعرف ان بعض الناس حين يحمرون تشف آذانهم .
– هذا لم الاحظه – يقول اغاركوف بدهشة مرحة .
– نعم ... هذا ما يحصل – يقول فيكتور

في ارتباك شديد . وهو دائماً يرتبك كثيراً حين يضطر الى ان يشرح رؤيته للعالم ، ويفسر الصور والتشابيه التي تولدها هذه الرؤية . ثم أنه خجول جداً . والآن أيضاً لا يعرف كيف يواصل وصفه للغشاء ...

– الى متى ستعذبه هناك ! – يقول اغاركوف في تعاطف . ويرفع بصره الى مدخل «المريخ» .

ونينا واندريه ما يزالان جالسين على المقعدين . انطرحا على ظهري المقعدين ، واستدار احدهما نحو الآخر . ويقول اندريه :

– الآن توضح لي لماذا كان الاله «بس» حامي النساء في مصر القديمة .

وتضحك نينا :

– إعترفْ بتلفيقك الآن .

– لنتجادل ! ادعوك الى زيارة المتحف يوم الأحد ...

– اغلب الظن أن جميع الفتيات في بلدتكم قد تعرفن على دين مصر القديمة بشكل ممتاز ...

— اسمعي ! — يقول رازدولين فجأة في جد كثير ، وفي خفوت وهدوء — تعبت من المزاح . لا حاجة الى المزاح . حسنا ؟

— حسناً — توافق نينا مضطربة .

— ولنذهب الى المتحف ، لايوم الأحد ، بل اليوم .

— ولكن الوقت سيكون متأخراً اليوم — تعترض الفتاة في حياء — سيكون المتحف مغلقاً ...

— وقد يكون مفتوحاً — يقول رازدولين في جد تام .

صعد فيكتور بويكو عدة درجات من السلم ، وصاح في مدخل السفينة :

— يا نينا ، هذا يكفي للمرة الأولى . لنذهب الى الغداء .

٧

الستة جالسون وراء مناضدهم يعملون . كودسنيك يقرأ كتاباً سميكا مكتوباً على الآلة الكاتبة . انه تقرير . والى مقربة منه كتابان

آخران سميكان أيضاً . انها تقارير بوريس كودسنيك نفسه . وهو أيضاً يستعيرها من المكتبة ؟. فمن غير الممكن تذكر كل الأرقام ، حتى اذا كانت هذه «ارقامك» .

ويتفحص سيرغي شيرشوف بعناية «طبعات» زرقاء (يقول بويكو يجب تسميتها بطبعات صهباء لا زرقاء كما هي العادة) ويسجل شيئاً على اوراق بقلم رصاص بري برياً حاداً .

وتنظر نينا كوزنتسوفا في شريط آلة حاسبة . وعلى الشرائط ارقام فقط . آلاف من الأرقام جمعت في صفوف ، والصفوف في طوابير ، والطوابير في فرق من الارقام . وقد قامت نينا باستعراض هذا الجيش . ينزلق الشريط بين يديها – انها تستقبل العرض . تفرحها تشكيلة ، وتفزعها اخرى . مرة تبتسم قليلاً ، وأخرى تقطب (وحين تقطب تصبح أكثر جمالاً . مثل هؤلاء الفتيات الجميلات نادراً ما تجدهن في المعاهد التكنيكية العالية . قبل ثلاث سنوات كان المعهد كله يغازلها) .

وبويكو يشتغل بعمل بدائي للغاية ؛ يرسم خطـــا بيانيـــا . وهـــو يفعل ذلك بشكل آلي ، ويستطيع ان يفكر ويتحدث عن شيء آخر مختلف تماماً . وقد جرّب ان يتحدث بالفعل ؛ ولكن الجميع كانوا مشغولين ، ولم يجر حديث .

ويكتب ايغور ردكين شيئاً ما ، واحياناً يتناول مسطرة اللوغاريتمات بلهفة ، ويوجه خيط الرؤية بسرعة وبدقة ، ثم يعود للكتابة مرة أخرى . ويوري مايفسكي يشتغل في هذا العمل بالضبط . ومع ذلك فحركاته خاليـــة من الاندفـــاع والعجلة . انـــه يحسب بنفس المهابة المتئدة التي يحسب بها في العادة مدرسو نظرية الآلات والتراكيب الآلية كاشفين في اعمال الطلاب التساهلات والاخطـــاء . ان مايفسكـــي وردكين يولدان انطباعاً بأنهما أكثر مَنْ في هذه الغرفة انكباباً وعملاً .

ولكن ها هو مايفسكي قد وضع قلم الحبر الرائع اللؤلؤي على اللوحة المرمريـــة لطقـــم الكتابة ، وتمطى ، وأعلن :

— . سننتهي اليوم من ج م م ! سنعمل كالحيوانات ، وننتهي منه !

— في امريكا الجنوبية يوجد مثل هذا الحيوان يسمى الكسول — قال ردكين ذلك دون ان يدير رأسه .

ضحك فيكتور بويكو . كان مايفسكي كسولاً حقاً ، ولكنه كان يملك مقدرة مدهشة على أن يجند دماغه لوقت قصير محملاً اياه ما لا يتحمله أي رأس آخر . وقد خلق يوري أيضاً نظريته المتناسقة الخاصة عن تجميع التفكير كأحد أشكال وجود المادة مفسراً بها حالته التي سماها باخروشين بالتراخي العقلي .

ولم يتكدر مايفسكي من كلمة « الكسول » . وهو بشكل عام لم يكن يتكدر من شيء . ولم يكن أحد يذكر أنه تكدر في وقت ما . بعد ان فكر قليلاً قال في ملاطفة :

— أما أنت فأحمق .

— الأحمق مفهوم نسبي — ردّ ردكين على جملته وهي طائرة — أتعرف كيف يقول الناس

في شارع دريبسوفسكـي : الـذي في جلوبين ذكي أحمق صغير في أوديسـا ـ وأشـار الى طرف خنصره ؛ هكذا يبدو الذكي الجلوبيني في اوديسا أحمق صغيراً . وفجـأة زعق ايغور ملقياً المسطرة في غضب :

ـ يورى يا صديق ! انا كذاب مسكين ! فأي كسول انت ؟! بالعكس تماماً ! أنت محب للعمل كالنحلة ! وبعد أسبوع سنشغل «ج م م» وبعد اسبوعين سنضـع على منضـدة الرئيس بروتوكولات التجربة . ثـم سيلـزم «س ت» الرئيس على أن يشغله اسبوعا أخر على نظام من تلك الانظمة المجنونة التي ابتكرهـا ، واذا لا يحترق (ولن يحترق !) سيرفعون جهاز يغوروف وينصبون جهازنـا ! وقطتي شاهدة على ذلك ! ـ وغمز للقطـة الملصقة على الجدار .

كان ايغور ردكين الشخـص الوحيـد من بين العاملين في الغرفة المؤمن بأن ذلـك مـا سيحدث بالضبـط . وكان يفترض مأخوذاً بتفاؤله الذي لا يفتر بأن في وسعهم قبل شهر

واحد من اطلاق السفينة أن ينصبوا جهاز فرملة جديداً ما كادوا ينتهون منه ، لا لشيء الا لأنه ، اي ايغور ردكين ، اعتبره أحسن جهاز في العالم .

– كفى هذراً – دمدم شيرشوف وتناول من قدح الاقلام قلم رصاص آخر . ويصمت الجميع .

ويستمر الهدوء دقائق عديدة . وتقول نينا همسا وراء كودسنيك :

– انظر يا بوريس ، ان هذا هراء محض . اتضح ان التيارات الدافئة هبّت على الستائر نفخاً أكثر منها بغير نفخ .

– بسيط ، – يقول بوريس في اقتناع ودون ان يلتفت – حقائق أولية ، بسيطة كما هي في قانون ارخيمدس .

فيتدخل بويكو في الحديث ، والظاهر أنه تعب من الصمت وراء جدوله :

– بهذه المناسبة مَنْ يستطيع ان يقول هل أرخيمدس اسم شخص أم عائلة ؟

الا أن أحداً لم يهتم الآن بارخيمدس فظل سؤال بويكو معلقاً بلا جواب . وتقول نينا :

– كل ذلك صحيح ... وعلى أية حال مع نفخ أكثر .

يضع كودسنيك حساباته ، ويقترب من نينا . والآن هما الاثنان منكبان على الشريط . ويقول هو :

– لننظر في المعادلات .

فتعرضها صامتة ؛ ويسأل كودسنيك بحدة :

– هل هيئتها بنفسك ؟

– بنفسي ...

– أغلب الظن اختلط عليك الأمر هناك .

فتقدم نينا ورقة المعادلات الموضوعة وفق العمليات . وينظر بوريس طويلا فيها ، وينخر . ثم يقول أخيراً :

– يا لها من شيطنة . يجب ان يعاد الحساب ، وبسرعة . هل تستطيعين اعادة الحساب اليوم ؟

– طبعاً .

فيسأل كودسنيك بويكو :
ـ يا فيكتور ، هل تستطيع أن تعيد حساب الستائر مع نينا مساء ؟
ـ حسناً ، سنعيد حسابها ـ يجيب فيكتور في كسل .
ويرسم خطا بيانياً ، ويفكر أن بين الخط البياني شبها مبهما مع الببغاء البرازيلي « آرا » . وتراوده الرغبة في أن يُري الخط البياني لزملائه ، ويسأل هل هناك مثل هذا الشبه حقاً ، ليطمئن نفسه . ولكنه يصمت مدركاً أن زملاءه لا يعنيهم الآن أمر الببغاء البرازيلي .

٨

صباح شفاف رائع من نيسان .
في الاسبوع الأخير عملوا كثيراً جداً حتى أن يوم الأحد كان اعجوبة صغيرة غير متوقعة .
بدأ صباح كودسنيك ، كما كان يفترض بيوم الأحد بالنسبة لكودسنيك ، بالذهاب إلى مطبخ حليب الأطفال . كانت العمة دوسيا ، المربية العجوز التي أستطاع أن يعثر عليها

بصعوبة كبيرة حين ولد ميشكا ، قد اعتادت الخروج في يوم الأحد إما لزيارة « ابنة اخيها » أو الى الكنيسة في اعيـاد القديسين ، أو الى المنتزه صيفـاً لمجرد الاستمـاع الى عزف الاوركسترا النحاسية ، او لرؤية عرض سينمائي مجاني احيانا . ولهذا كان يذهـب بنفسـه الى المطبخ يوم الأحد . وضع الزجاجـات الصغيرة المؤشرة عند كل خمسـة غرامـات في سلة صغيرة مضفورة بالالياف الملونة . كان في هذه السلة الصغيرة شيء مضحك ومؤثر ، شيء من حكاية « ليلى والذئب » .

وكان بوريس يحب هذه المسيرات ليوم الأحد ، لأنه لم يكـن محتاجـاً إلى أن يسرع في غرض ، وكان في امكانه أن يرى المدينة والناس ، وكل ما يصادف فيمـا حولـه . في الأيـام الاعتياديـة كان يصعد البـاص على عجل ، وكان يعرف وجوه كل ركاب الباص . في الايام الاعتيادية كان لا يرى المدينـة . أمـا الآن فكان يسير غير متعجل ، ناظراً باهتمام الى كل ما يقع بصره عليه . ها هو صاحب سيـارة

مسكين يستلقي تحت سيارة «الموسكفيتش» ،
وها هم اطفال صغار يلعبون لعبة «النقود» .
لعبة ممتازة ! تتطلب خفة في اليد والعينين .
ويفكر فجأة لو يستطيع ان يلعبها وهو المرشح
في العلوم التكنيكية ، للعبها بكل سرور . وهذا
البيت في المنعطف وضعوا زجاجاً له .

وينظر بوريس في الأعلانات . المنتزهات
وصالات الرقص قد اعيد فتحها بعد عطلة
الشتاء . وصل قائد فرقة موسيقية من
تشيلي . وعازف كمان من انجلترا . مسرح
«المعاصر» الزائر يعرض : «سيرانو دو
برجراك» . عرض لأجهزة تلفزيون مجسّمة .
سباق في الكرة الطائرة بين فريق «خيميك»
وفريق «بورفيستنيك» . «التنزه على الزوارق
البخارية أحسن راحة» . الاشتراك في مجموعة
مؤلفات سالتيكوف-شيدرن . «راكب
الموتسايكل لفيثين يسير على حائط عمودي» .
مسابقة الازهار . «الأم المخدوعة» فيلم
مصري جديد . امسية شعرية ...

حين قرأ الاعلانـات تعكر مزاجـه . إن كل عالم تسليات سكان المدن الجذاب ، المزركش هذا ، والذي ربما ليس ممتعاً بالشكل الذي تتحدث عنه الاعلانات مرّ من امامـه منذ زمان . وشعر بأنه قد خرج من ذلك العالم ، وفقد كل صلة له معه . ليس الى حد انه لم يكن ليستطيع الذهاب الى امسية الشعر تلك . إنه ليود ذلك . وقد ذهب بالفعـل . نادراً جداً ، ولكنه ذهب . إلا أنه عندمـا ذهـب ، عندما سمع الاشعار ، وتلفت في الناس الجالسين بالقرب منه شعر باغتراب غير مفهوم ، شعر بأن وجوده في القاعة مصادفة . كانت تستحوذ عليه دائماً رغبة غير مفهومـة كليـاً في ان يوسع ارتباطاته مع العـالم . واحب النـاس الجدد . وبشكل عام أحب بفطرته أن يعرف . وكان حب المعرفة أقوى صفـة من الصفـات المحددة لخلقه وسلوكـه . ولعلـه كان أقل الاشخاص الستة الجالسين في غرفة واحدة من غرف المختبر السابع صلاحية للرئاسة لأن حبه المعرفة كان فرديـاً جداً ، وكان بوسعـه أن

يحرز أكبر النجاحات لو عمل باحثاً ، لا مشرفاً على الباحثين . إلا أن أحداً لم يفهم ذلك ليس إلا .

وقد دافع عن اطروحته قبل الآخرين فـ «أعطوه قسماً» .

إن هذه الظمأ الى الجديد عذبه حين قرأ الاعلانات . عذبه لا لأنه لم يكن قادراً حتى على اطفائه اليوم ، بل لانه (وهذا ما كان يحس به) لا يستطيع اطفاءه غداً ايضاً . ما إن خرج من باب الخروج حتى توافدت عليه من جميع الجهات مشاغل صغيرة لا حصر لها ، وغطته مثل نمل الغابة الأحمر ، انسلت تحت ثيابه ولسعته ، ولم تكن هناك فرصة للهروب ، ولا لنفضها عن جسمه . مرة كانت الام تحتاج الى دواء لم يكن موجوداً في أية صيدلية ، ومرة كانوا يبدأون بتصليح الشقة . ثم كان يجب اعطاء مشمع المطر للتنظيف ، وهذا العمل البسيط صار أيضاً مشكلة ؛ لأنهم لسبب غير معروف كانوا يتسلمون الملابس في محل التنظيف صباحاً فقط ، حين كان يخرج هو

وزوجته الى العمل . ثم كان يجب البدء في التفكير في منزل صيفي لميشكا ، والشروع في «البحث» . وثم وثم وثم . ومثل رأس ثعبان زمي غورينيتش في الاسطورة الشعبية كلما انقطع رأس نما آخر لم تكن هناك نهاية للمشاغل . وكان يشعر شعوراً حاداً بلانهائيتها ، ومن جراء ذلك كانت تراوده رغبة أحياناً أن يرمي كل شيء ، ويرحل الى مكان بعيد جداً ، ويشتغل بشيء مختلف كلياً . أن يعيش في قرية ، ويعمل في كولخوز ... أو يجري ، مثل لفيتين الموجود في الإعلان ، على حائط راكبا موتسايكله ، سائحاً مع هذا الحائط في ارجاء البلاد ...

إلا أنه وهو في الثانية والثلاثين من عمره قد غرس جذوره عميقاً في حياته تلك . وكان مشدوداً جداً من يديه ورجليه بسلسلة دقيقة كانت كل حلقة من حلقاتها «يجب» صغيرة لتغيير شيء ما ... ثم كان هناك الاولاد : ايغور وفيتكا وسيرغي . ثم كان هناك عمل ما كان بوسعه ان يتخلى عنه لقاء أي مبلغ من المال

والنعم. وكان قد قرأ في كتاب ما أن اديسون كان لا يخرج من المختبر اسابيع... وقد فهم أديسون كثيراً ، وحسده . حسد قابلية باخروشين على العمل وفوران س ت الابدي . وقد احب العمل وقدر عليه . وكان كل مَنْ كان على مقربة منه يحس بذلك . ولكن مهما فعل كان يريد ان يفعل أكثر . كان يريد أكثر مما يقوى عليه جسمياً ، ولم يكن يتسنى له الوقت ليعيش ... وربما لهذا السبب أيضاً عكرت الاعلانات مزاجه .

٩

في ذلك الوقت كان فيكتور بويكو جالساً على مصطبة في منتزه النصر يفكر بافكاره : قفص الزرازير ، أهو لمجرد الراحة أو ضرورة للزرازير ؟ وبشكل عام هل تكفيها الاقفاص ؟ وماذا تفعل الزرازير التي تعيش بلا اقفاص ؟

طرح فيكتور على نفسه هذه الاسئلة ليس فقط لأنه كان يملك قابلية نادرة على اختيار نقطة غير مألوفة يطل منها على العالم

مكنته من أن يرى ما كان معلوماً منذ القدم رؤية جديدة ، بل وبشكل غير واع لأن هموم الزرازير السكنية في الربيع كانت قريبة منه ، ومفهومة له . وجوهر المسألة أن فيكتور بويكو استأجر غرفة صغيرة رطبة ، ولكنها رخيصة نسبياً . ونفر منها كثيراً . وكان يذهب اليها للمبيت فقط . وبالطبع كان من الممكن العثور على غرفة أحسن ، ولكن لم يكن راغباً في البحث . وكان شعاره السكني الوديع : «صبرت اربعة أعوام ، والآن أصبر الى النهاية» . وخلال هذه الاعوام الاربعة كبت في نفسه خمس مرات شعوراً غامضاً في الخجل كان يستولي عليه كلما كان عليه أن «يطلب لنفسه» ويذهب إلى سينيتسين المنظم النقابي للمختبر . كان يذهب ليطلب غرفة . وكان سينيتسين السمين ذو العينين الصغيرتين اللامعتين ، الشبيه بالخنزير الغيني ، ما إن يراه من بعيد حتى يبدأ بالحركة ، وينقل الاوراق من مكان الى آخر على المكتب ، ويتناول سماعة التلفون ، ويرتعص انفه قليلاً فيصير

بذلك أكثر شبهاً بالخنزير الغيني . ثم يشرع سينيتسين بالوعد . لا ، ليس بالوعد ، بل بـ «التأكيد» . فيقول :

— أؤكد لك أنك من بين العشرة الأولى عندنا . ولا تشك ... أؤكد لك ...

وأشار المجربون من النـاس إلى فيكتور بالزواج وعنـد الزواج بالاسراع في انجـاب الاولاد . فقد كانوا بالفعـل أسرع في اعطـاء البيوت للازواج الشبان وأكثر إسراعاً في اعطاء أصحـاب الاولاد منهم . ولم يكن فيكتور عدو المرأة مطلقاً ، ولم تكن له من الناحية المبدئية اية اعتراضات على الزواج . ولكنه لم يرد ان يتزوج من أجل خاطر شقة ! بينما لم يوفق في الزواج من «غير خاطر» . وفي كل مرة كان «يقصر عن الشوط» كما كان ردكين يقول .

وذات مرة ، بعد دفاع كودسنيـك عن اطروحته حين تعشـوا في المطعـم حضـن فيكتور ردكين وقال :

— أنا مؤمن بأن هناك فتاة لي وحدي ، ولدت لي ... مثلما ولدت جوليت لروميو ...

اين هي ؟ لا اعرف ... ربما في تاهيتي ... أو ربما في إسلندا ... بالطبع الاشتراك في اللغة ، والآراء السياسية والأخلاق هو في صالح الاتحاد السوفييتي ، ولكن أتفهم ماذا تعني القرابة الروحية ...

— أفهم — قاطعه ايغور — أفهم . ولكن لو كان روميو مائعاً هكذا لنحره تيبالد كالخنزير الصغير ...

وبإختصار طعنه ايغور طعنة نجلاء على حد التعبير الشائع . ومنذ ذلك الحين أمتنع فيكتور عن الحديث في مثل هذه المواضيع . ولسبب ما تذكر هذا الحديث الآن وهو جالس على المصطبة في المنتزه .

المكان هنا ممتاز . وكانت رائحة الصيف تفوح قليلاً وبروعة . وكانت هناك رائحة مطر وأرض ، وخضرة مرة فتية . فقد تبين أن الخضرة قد طلعت ... ودبت دودة سميكة وردية كالخنزير تتدفأ في الشمس ، وخرقت اولى انصال العشب الحادة الساطعة الارض السوداء . . وفي كل مكان تدب الحياة وتمور ، بلا حياء وبتعطش

ومرح . «اغلبّ الظن أن روبنس احب هذا الوقت» ــ فكّر فيكتور مع نفسه دون ان يتوقع هو نفسه هذا التفكير ، وكما يحدث دائماً . ورفع رأسه ، وأشرع بوجهه نحو الشمس .

هكذا استراح فكتور بويكو .

١٠

وعلى مسافة قريبة جدا من منتزه النصر ، وفي شارع يندر فيه مرور السيارات ، مجاور لشارع آخر تمر فيه كثيراً جداً ، وفيشقة كبيرة أثثت بذوق هي شقة البروفيسور مايفسكي الجراح المعروف في كل البلاد كان يوري ابن هذا البروفيسور يدخن مستلقياً على تخت مفروش عريض . وكان يتمتع بالبطالة بصراحة ودون خجل لانه كان يعرف انه عمل في الايام الأخيرة كثيراً وبفائدة ، والآن لم يكن يحس بأي وخز في الضمير لأنه عاد الى الاستلقاء على التخت بعد فطور لذيذ مشبع

وغير عجول – وهذا شيء رئيسي – يفكر بتؤدة فيما سيفعل فيما بعد .

صاح عبر الباب :

– يا نيورا ، هل جاءوا بمجلة «سبوتنيك» ؟

وظهرت عاملة البيت نيورا بلا جلبة كالجني في الاساطير :

– لم تأت «سبوتنيك» . توجد «مياك» وجرائد ومجلة «كروكديل» .

– لا حاجة الى «مياك» ...

اختفت نيورا من اطار الباب بسرعة وقوع الستار في آلة التصوير . فصاح هو ثانية :

– على العموم . هاتي «مياك» !

وكما توقع ، كانت «مياك» مضجرة جداً . قصة طويلة عن حب في مزرعة لتربية الحيوانات . مقالة تلخيصية متأخرة عن الهوكي . ومقالة صغيرة تحكي كيف صنع ماهر أرمني تمثالاً ل«افتيك اساكيان» من حبة الذرة .

ودخلت الى الغرفة انيوتا زوجة يوري . فتاة جميلة طويلة الساقين .

– هل ستظل راقداً هكذا ؟

– وماذا ؟ اشتغلنا بشكل جيد . ونحن نستريح استراحة ثقافية .

– تلفن سلافكا . انهم اشتروا لنا بطاقتين في الفيلهارمونيا اليوم . قائد فرقة تشيلي نسيت اسمه . يعزف رافيل وبروكوفيف ...

– لطيف جداً ! – قال يوري وقد فرح حقاً ، فرح لأنه لا يحتاج الآن الى أن يفكر بشيء .

– هذا في المساء . فماذا نعمل حتى المساء ؟

– لا اعرف – وأمسك بيدها ، وجذبها اليه ، وحضنها وقبلها من وراء أذنها . وكان يحب ان يقبلها وراء اذنها وفي رقبتها شاعراً في ذلك برائحة شعرها اللطيفة .

قالت في رقة :

– أنت عجل بحر ، يا يوري .

– نعم ، أنا عجل بحر ... قبليني .
– اخجل وانهض .
– حسناً ، لنفرض أنني نهضت . فماذا بعد ذلك ؟ لنفكر في شيء اولاً ، لماذا عليّ ان أنهض .
وقبلها مرة أخرى .
هكذا كان صباح يوري مايفسكي .

١١

وعلى خلاف يوري مايفسكي لم يكن سيرغي شيرشوف متزوجاً . كان خطيباً ... وخطيب كلمة حمقاء بشكل مذهل . فما من أحد يقول عن نفسه «أنا خطيب» . هذا شيء مضحك واي خطيب هو يا للشيطان ؟ ولكن من هو ؟ من هو ؟ كيف يوضح امره ... كل شيء معقد كثيراً ... كل شيء معقد بشكل رهيب ...
ذات مرة قال ردكين : «القدرة على العيش تعني القدرة على ان تجعل من المشاكل الكبيرة

مشاكل صغيرة» . وماذا يهم ردكين ؟ ألقى الكلام على عواهنه ، ونسى . بينما فكر سيرغي فيما بعد ، وقرر إذا كان ايغور صائباً فهو غير قادر على العيش ، لأنه يفعل العكس بالضبط ؛ يجعل من المشاكل الصغيرة مشاكل كبيرة .

كان سيرغي شيرشوف ذا خلق سيىء . كان شاكاً وعقاً متوجساً مهتماً بالصغائر والغريب أن كل هذه الصفات السيئة كانت تتبخر في العمل فوراً ، أما في البيت ... والأصح ليس في البيت ، بل بشكل أساسي مع آلا ، فقد كانت تتفتح مثل زهرة زاهية . كانت كل علاقاتهما المتبادلة في الحقيقة خصاما دائميا لا سبب له تتخلله ساعات قصيرة من المصالحة . وهكذا في هذا الصباح جرى بينهما قرب شباك التذاكر لمسبح «فودنيك» حديثاً فظاً أحمق ، وشعر سيرغي في هذا ، ولكنه لم يستطع ان يتوقف . سأل للمرة الثالثة :

– إذن كيف ؟ أقطع تذاكر ؟

– اقطع ، إقطع – وافقت آلا باستعداد .

– تتكلمين هكــذا ، وكأنني اقــودك الى المشنقة ...

– ماذا تريد ؟

– لا أريد ان تسدي معروفاً .

– وأي معروف هنــا ؟ انت نفسك قلت هذا ممتع . لطيف جداً لنذهب ونر . هل تريد أن أرقص فرحاً ؟

– لا حاجة بي الى رقصك . ولكن إذا لا تريدين ان تذهبي لا تذهبي . استطيع ان اذهب وحدي ...

وفي العادة كانت تقول بعد هذه الجملة : «إذهب ! إذهب الى حيث تشاء ، واتركني في راحة !» ولكنها لم تره اسبوعاً كاملاً ما عدا يوم الاربعاء حين جاء لزيارتهــا بعد الساعة العاشرة مساء ، لذلك اجابت بخلاف العادة :

– سيريوجا ! أنا أريد ، اتفهم ؟ لنذهب الى السباق ، وإذا غيّرت رأيك لا نذهب الى السباق . – فسأل سيرغي للمرة الرابعة :

– إذن اقطع تذاكر ؟

اقبلت فتاة رشيقة في لباس سباحة أسود الى حافـــة جسر القفز . وراوحت قليـــلاً على اصابعها فقط . مثل رماة الرمح يحركونه قليلا قبل أن يرموه . وقفزت فجأة ! والقت نفسها من فوق بقوة مرحة فخور . وكان هذا الطيران قصيراً ، فقد سقطت على اية حال ، ولكنـــه كان طيراناً ! وقد قادته وازنة بطواعية ودقة مرونة حركاتها على سرعة هذه السقطة الطليقة الآمنة . وشق جسمها الرشيق الماء الاخضر دون ان يرسل رشاشاً . وطنّت المدرجـــات في استحسان ، ودوّى التصفيق تحت الاقواس الزجاجية لحوض السباحة .

ونظر سيرغي الى آلا من طرف عينه . لقد راقت له كثيراً ، ومن جراء ذلك صـــار مهمومـــاً . أخرجت آلا قطعـــة شيكولاتـــة من محفظتها (أشتراها سيرغي من البوفيه) واخذت تأكلها . وحين فرغت منها ، أخذت تلف ورقة شيكولاتة فارغة وكأنها شيكولاتـــة حقيقيـــة . راقبها سيرغي من طرف عينه ، وفكر في سره إذا تقدم له ورقة شيكولاتة فارغة ستسوء الحال .

ترمز الشيكولاتة الفارغة الى الخداع . وكان يحب التفكير على هذا النحو ، ويتضايق من تخيلاته هذه أكثر حتى من المنغصات الفعلية .

وأخيراً تهيأ كل شيء . وضعت ورقة من الشيكولاتة على ركبتها ، مستمتعة بعملها ، ثم نظرت الى سيرغي ، وسألت همساً :

— هل اعطيك ؟

صمت سيرغي .

— اعطيك ؟

صمت سيرغي ، واراد أن تكون للحظ فرص متساوية . أن يقول «نعم» أن «لا» سواء في انعدام حسن النية .

ضمت ورقة الشيكولاتة في كفها ، وتحولت الى جسر القفز . وخاف سيرغي كثيراً أن تدس الشيكولاتة في جيبه خلسة ، فجلس مرهف الحواس منتظراً ما سيحدث ...

في ساعة متأخرة من المساء فقط رافق آلا الى بيتها ، ونسي كلياً الشيكولاتة الفارغة . تلمست هي في حقيبتها النسائية والقت كرة زرقاء زاهية في صفيحة القمامة .

– رميت الشيكولاتة ها ؟ – سألها في خبث .

وحين قالت أنها القت الشيكولاتة فعلاً ، شعر سيرغي في الحال بخفة وفرح وحنان حتى أراد ان يقول لها شيئاً رقيقاً جداً . ولكنه لم يعرف ماذا يقول ، فلم يقل . . .

إلا ان ذلك كان في ساعة متأخرة من المساء ، وفي الصباح كان سيرغي شيرشوف واقفاً عند شباك التذاكر لحوض السباحة «فودنيك » .

١٢

واشتغل ايغور ردكين يوم الأحد أيضاً . والأصح انه لم يشتغل ، بل نوى الاشتغال . في الصباح اراد ان يكتب مقالة لمجلة «زنانيا سيلا» («المعرفة قوة») ، وهي ليست المقالة الاولى التي ينشرها في المجلات العلمية الشعبية ، وكان مع نفسه وبحضور الآخرين يسمي عمله هذا كلفتة موقناً بأنه يكتب من اجل الفلوس فقط . وكل عمل يُعمل من اجل الفلوس

فقط بغض النظـر عن نوعيـة تنفيـذه كان يعتبره كلفتة .

كان ايغور يكتب من اجل الفلوس حقاً . كان يعطي لأمه راتبه والمكافآت التي يحصل عليها من جراء الانتهاء من عملية ما قبل الوقت المحدد ، ويظل بـلا فلوس دائمـاً . وقبـل تسلم الراتب كان « يقترض » دائما من مايفسكي عشرة روبلات . الا انه كان لا يكتب من اجل الفلوس فقط . كان يكتب لأنه احب الكتابة . وراق له ذلك . كان يعتبر الانجذاب الى الصحافة ضعفاً لا يليق بانسان يشتغل بعمل جدي . ولم يكن يعرف انه احب الكتابـة ، ولم يكـن يعرف بان الكتابة راقت له . وقد سمى هذه المقالـة ايضـا كلفتة ، بالرغـم من انـه عالجهـا في اخلاص غير اعتيادي ، وفكر فيها منذ زمن طويل ، ورسم خطتها منذ اسبوع ، بل وفكر بالسطر الأول الذي بدا له مثيرا للاهتمام : «الطائرة لم تخضع للطيار» .

وكان قد جلس الى العمل تماماً ، ولكنه اقترب من النافذة ، ووقف هناك زهاء عشر

دقائق ناظراً الى الشارع المملوء بالشمس .
وكان الجو في الشارع يبدو مرحاً جداً . فهناك
مقابل نوافذهم كان الناس يزدحمون قرب
محل الموبيليات ويضوضئون ، والباعة في
مريولات زرقاء يلوحون بالوصولات ، والسواق
«الانتهازيون» يتجولون بكسل ، والحمالون
ينتظرون العمل . ووصلت سيارة لوري
وضعوا فيها صوان ملابس ببطء ولطف .
وانعكس العالم على مرآة الصوان الكبيرة . قفز
العالم فرحاً : السحب ، ونوافذ البيوت ، والمارة ،
والسيارات .

ولكن يجب ان تُكتب المقالة . فقد وعد
بذلك . ويجب ان يكتب الآن ، لأنه في المساء
سيأتي جوركا وفاسيا الصديقان القديمان منذ
ايام المدرسة . وسيشربون . فمنذ زمن
طويل اتفقوا جميعاً على ان يشربوا . مجرد
ان يجلسوا «ببساطة» ويشربوا ، ويثرثروا .
ولكن امامه مهمة : أعليه ان يتلفن الى
ايروتشكا . جوركا وفاسيا وايروتشكا ...
ان هؤلاء الفتيان «لا يتجالسون» لسبب ما .

انهم سيجلسون مكبوتين ، ويحاولون ان ينكتوا . ويبدأ جوركا مرة أخرى يقص ، على ايروتشكا هذه المرة ، كيف صادفتهم عاصفة ثلجية عند رأس قمة الاخوات السبع ... ربما يتلفن على أية حال ويهمل جوركا ؟ لا ، لا يدعو ايروتشكا ... ولكنه يعرف انه ستمر حتماً لحظات يريد فيها ان يهرب من جوركا ومن فاسيا ، وسيأسف لأنه لم يدع ايروتشكا ... ربما يتلفن الآن ؟ ولكن ماذا سيكون من امر المقالة ؟

وهكذا بدأ نهار ايغور ردكين في عذابات الشك .

١٣

صباح نينا كوزنتسوفا هو صباح الانتظار . خرجت الى الحلاق ، ثم الى المخزن ، ثم نظرت في الجريدة ، ثم اطبقت ساقيها ، وجلست في طرف الاريكة تقرأ كتاباً ، ولكنها ، وهي تسترسل في افكارها ، لم تفهم شيئاً مما قرأته ، مجرد ان تمرر عينيها على صفحة بعد أخرى —

هكذا يقرأ الممثلون على المسرح . اخذت الكتاب لقتل الوقت ، ولكي يأتي المساء بسرعة . فالمساء هو رازدولين .

سارا الى مكان ما ، وركبا الى مكان ما . الى اين ؟ مَنْ يعرف الى اين ... وتعشيا في مطعم صغير على الكورنيش . ولم يقدموا لهما الطعام وقتاً طويلا ، وللآخرين ايضا . وانفعل الآخرون ، بينما هما لم ينفعلا . حتى لو نسوهما كلياً ، لا ينفعلان ... ثم ركبا ثانية الى مكان ما . وسار الترولليباص زاعقاً من مصباح الى مصباح . ونظرت نينا من الشباك الى الشارع المظلم . كانت مربعات الضوء الصفراء الساقطة من نوافذ الترولليباص تندفع على الاسفلت ، وعلى برك الماء . ثم سبقه الظل الراكض الكبير للترولليباص نفسه القادم من الخلف ، وانطلق الى الامام ، وعلى الاثر ظهر ظل آخر ، ثم آخر ، وآخر ...

لماذا لم تر كل هذا من قبل ؟

ساحة صغيرة ، وحوض زهور مستدير .

فيه تمثـال أبيض لصبي من الطلائع مكسـور الذراع . ويجلسان على مصطبة . ويحضنهـا ، ويضمها الى صدره .

فتقول هي وتضحك :

– اذناك تثلجتا ... اذنـان حمراوان –

وتمس اذنا باصبع – أتعرف ان أراميس كان يقرص شحمتي اذنيه حتى تتوردا ؟ فقد كان هذا يعجب النساء ... ألعلك تقرصهما ايضـا يا رازدولين ؟

– أيعجبك أراميس ؟ – سألها هو .

– هو شاطر . وانت أيعجبك ؟

– يعجبني ايضا ... ولكن أتوس يعجبني أكثر ...

– أتوس بطل ... كل الاولاد يعجبهم أتوس ...

واراد ان يقبلها ، ولكن اولاداً ، نفس الاولاد المعجبين بأتوس ،اندفعوا الى الساحـة مثل عصابة من قطاع الطرق .

وتنحت بخفة ، وادرك دون ان يتكـدر ان التقبيل لا يجوز الآن .

– اغلب الظن ، انهم هم الذين خلعوا ذراع التمثال .
– هم ...

ثم وقفا في ظليلة صغيرة في فناء بيتها . في ظليلة صغيرة للاطفال . وكانت الاراجيح التي نصبت للاطفال ساكنة بشكل حزين . وقبلها طويلاً وبعذوبة ضاماً اياها . وقال لها شيئا ما ، ولم تسمع هي كلماته ، فلم تكن هناك حاجة الى كلمات . وقفت على اطراف اصابعها ، وقبلته من شفتيه ، قبلة طويلة وقوية حتى أنه شعر باسنانها ...

وهكذا ولدت ، في تلك الليلة ، في الباحة الصغيرة التي كانت تنظر اليها عيون مئات من النوافذ البرتقالية ، اعجوبة نادرة ورقيقة – حب .

١٤

بوريس كودسنيك وراء مكتبه ، ومصباح المكتب مضاء . وهناك بعض الكتب .

خط على غلاف أحدها بحروف ذهبية «نظرية البلازما» . وبوريس يقرأ . ويدان نسائيتان مستلقيتان على كتفيه ، ويقول صوت بخفوت :

– غط الضوء بجريدة ، ميشكا يتقلب . . .

ويضع بوريس جريدة على المصباح . ويمسح خده على يدها . وتترك اليدان الكتفين .

فيكتور بويكو عائد الى البيت في زقاق مظلم . وقرب محل بيع الخبز يفرغون خبزاً طازجاً . ويتوقف فيكتور مستنشقاً الرائحة اللذيذة الدافئة الطيبة . وتختفي صواني الخبز في النافذة سريعاً ، واحدة بعد اخرى . ويسأل فيكتور :

– هل يمكن شراء رغيف ؟

– هل جعت ؟ – يقول عامل التفريغ في تهكم ويتابع إنزال الصواني .

– لا . . . ولكن رائحة الخبز طيبة . . .

– اشتر عطراً لك ، وشم – قال عامل التفريغ في غضب .

— سأدفع ...

— ألا ترى ان المحل مغلق — جاء من النافذة صوت نسائي زاعق .

ويفهم فيكتور أن من المستحيل ان يحصل على شيء . ولكنه لا ينصرف ، ويقف صامتاً مستنشقاً رائحة الخبز .

ملأ قاعة الفيلهارمونيا الكبيرة قرع طبل متعاظم يضرب في ايقاع واحد واضح . بوليرو رافيل . وعينا مايفسكي مغمضتان والرموش تهتز وتضطرب ، والطبل ماض في قرعه ... ووجه مايفسكي متوتر . وهو لا يشبه مطلقاً مايفسكي الذي يعرفه الجميع .

سيرغي شيرشوف جالس في فانيلته وسرواله الداخلي على السرير . والظلام مخيم تماماً . ويخرج إلى الممر المظلم حافياً ، ويفتح الباب الآخر قليلاً . ظلام ايضاً .

— هل انت نائم يا بابا ؟ — يسأل سيرغي همساً فيرد عليه صوت نسائي :

— ماذا بك ؟

— سأتزوج ، يا ماما !
— ألا تستطيع ان تصبر حتى الصباح ؟
— لا ، حقاً انني سأتزوج !
— هل شربت خمرا ؟ — تسأل الأم في رعب .

ألتقت ثلاث كؤوس وقرعت .
— على اية حال ماذا يعني عندك الاشتغال بالعلم ؟ — وجه جوركا زميل المدرسة القديم هذا السؤال إلى ايغور ردكين باصرار سكران .
— عندي ؟ ماذا اقول — ويدير ايغور الكأس باصابعه — أرضي حب استطلاعي على حساب الدولة !
وصب الفودكا في فمه . ويقول جوركا بحدة :
— لا تتحذلق . انت تعرف عم أتحدث . ما حاجتنا الى القمر والزهرة والمريخ ، إذا ليس عندنا ما يسد حاجتنا من الشقق والأحذية والزبدة ؟ على أي مصيبة ؟
— مَنْ تقصد بـ« نا » ؟ يسأل ايغور بجدة .

– أنا وأنت وفاسيا ، والجميع .
– أنت تبسط المسألة – يقول فاسيا بارتخاء – افهم ...
– هو لا يبسط شيئاً – يقاطعه ايغور بحدة – إنه ضيق الافق . هو يحتاج إلى عش من العاج ، وحذاء مصقول لقاء خمسة روبلات . مئات الاعوام والناس ينظرون الى السماء ويحلمون ... إن لونوغراد هو مفخرة لنا مثل روبليف ، ومثل كاتدرائية فاسيلى القديس ، ومثل الطرادة «افرورا» .. ألا تريد أن تبيع للامريكيين متحف صور ترتياكوف ؟ إنهم يشترون ! ويدفعون اثماناً جيدة ! لماذا لم نبادل روبليف بلحم الخنزير ؟ ها ؟ فظيع ان يصدر هذا الكلام منك بالذات ! فظيع فظيع ! .. بهذه المناسبة لماذا ترسم أنت اللوحات ولا تربي الابقار ؟ فان الاحذية تصنع من جلد الابقار ...
– ممتاز ! – صرخ جوركا – لقد وصلنا إلى حد انكار الفن !
وكأنما لم يسمع ايغور هذه الكلمات ،

ويقول بتفكير :– في رواية «آيليتا» لألكسي تولستوي يطير الناس الى المريخ في العشرينيات . أنت تذكر كيف كان غوسيف يسير في لفافتي الساقين للجنود ... والآن تعمل محطتنا على القمر . على القمر ! عندما أفكر في ذلك يا فاسيا أحس بغصة في حلقومي ، وأريد ان أبكي ... ذلك شيء هائل يا فاسكا ! .. أمن المعقول انه لا يفهم ؟

– انتهوا يا اولاد – يقول فاسيا في تعب – تعالوا نشرب الكأس الاخيرة .

وأخذ يصب بقايا الفودكا ، ويقيس حتى يحصل الثلاثة على حصة متساوية .

أما في مدخل البيت المظلم – هناك مصباح صغير واحد قذر – فقد وضع رازدولين بين كفيه وجه نينا الجميل الوضاء ، وصرخ تقريباً :

– أنا احبك . هل تفهمين ؟ أنا احبك احبك ! احبك .

وعيناها مغمضتان .

١٥

غرفة مكتب كبير المصممين الصغيرة التي عرفناها آنفاً . وعليه الآن ان يتحدث الى الملاحين الكونيين . تلفنوا إليه من موسكو ، من اركان السلاح الجوي ، وطلبوا أن يشرح كل شيء .

وبصريح القول لم يكن كبير المصممين بشكل عام ليفضل أي الملاحين سيطير الى المريخ . كان يثق ثقة تامة بالناس المشتغلين في القضية المجهدة ، قضية اعداد الملاحين الكونيين ، ويدرك ان في الامكان ان يُصطفى من بين مئات الشبان الاقوياء روحاً وبدنا اشخاص من أحسنهم ثم يصطفى من هؤلاء أحسنهم . وقد جرى هذا الاختيار بالفعل ، ووافق عليه . وقد اعجب بالثلاثة جميعاً . أعجبه ان يكون اغاركوف وفرونتسوف ، ورازدولين مختلفين جداً لا يشبه احدهم الآخر . وها هم جالسون حليقو الوجوه امامه ، الثلاثة الرشيقون ، الفتيان جداً ، والوسيمون لهذا

السبب . جالسون لا يعرفون انه سيطير اثنان فقط . مَنْ ؟ ليس له حق الاختيار . ولكنه كان يود أن يختار لنفسه . ليس فقط لكي «تكون له وجهة نظر» عند الضرورة ، بل لمجرد أن يختبر تجربته ، وقدرته على فهم الناس . وكان يعتبر أنه يملك هذه المقدرة (وهو مالك لهذه بالفعل) .

ها هو فرونتسوف . إنه أكبرهم سناً ، صموت ، وعنيد كما يبدو . عريض المنكبين ، ذو عضل ، ولكنه خفيف ، مرن الحركة . من مدينة اوليانوفسك على ضفاف الفولغا . له وجه روسي لطيف ، وعلى أنفه ووجنتيه نمش . أما أنفه فمدور بعض التدوير ، قليلاً جداً . وحاجباه كثان . وعيناه شهلاوان . أهو اشقر ؟ يبدو ، لا . بل ذو شعر روسي فاتح اللون .

ورازدولين أشقر ، ازرق العينين ، مورد الوجنتين ، يبدو وهو الى جانب فرونتسوف ناعماً ، بل ورخواً ، وطويلا بشكل خادع . يافع تماماً . ولكنه شاطر ، ينظر كالصقر . ورأسه يعمل بسرعة ولا تعسر عليه الكلمات .

واغاركوف أضخمهم . أسمر الوجه ، وشعره الجميل مسترسل الى الخلف ، وعيناه السوداوان فيهما فتور جنوبي . إنه من نوفوروسيسك . صياد سمك من خامس ظهر . غير عجول ، ومترو طيب النفس . ويقولون إنه قوي جداً جسمياً ...

ها هم جالسون . ثلاثة هم أحسن الأحسن . ولكن اثنين سيطيران . فكيف سأبلغهم ؟

– كيف تجري الامور ؟ – يسأل الكبير مبتسماً – كيف السفينة ؟ انتقدوا . انتم ستطيرون لا أنا .

– آلة ممتازة ! – يقول رازدولين في فرحة . ويقول فرونتسوف :

– سفينة ممتازة .

– لا يعجبني البلاستيك – يضيف اغاركوف بعد صمت .

– لماذا ؟ – يسأل الكبير ، وقد نظر من فوق نظارته ،

— في كل مكان بلاستيك أبيض . أنا افهم أن من الضروري ان تكون الجدران لينة حتى لا يرتطم الملاح اثناء انعدام الوزن ، وعند النزول ايضاً ... ولكن لماذا أبيض ؟ وكأننا في مستشفى .

فيقاطعه رازدولين :

— اترك المماحكة ، ما اهمية ذلك ...

— دعه يماحك — يهزّ ستيبان تروفيموفتش رأسه — انتم لا تطيرون ليوم أو ليومين بل لشهور . حقاً إن الابيض لون غليظ .. يجب أن يصنع لون بيتي ...

ويخربش في ورقة التقويم المفتوح : «البلاستيك !» . ويقول فرونتسوف :

— يا ستيبان تروفيموفتش ، وضعوا عند كوة الرؤية ماسكا يطوى لآلة التصوير السينمائية . هذا مريح . ولكن الآلة مشدودة عليه بشكل ثابت . فلو توضع مفصلة متحركة ..

— حسن — يقول الكبير ، ومرة أخرى يسجل في ورقة التقويم .

– هذا بلاغي كله – يقول فرونتسوف بلهجة رسمية وبعبارة عسكرية .

– هكذا – ينظر اليهم الكبير . كيف اقول ؟

– عندي لكم خبر غير لطيف ، يا رفاق . . .

وفكر الثلاثة جميعاً في شيء واحد .

رازدولين : «لا نطير !» .

فرونتسوف : «تأجل الانطلاق» .

اغاركوف : «ضاع الاعداد» .

صمت ستيبان تروفيموفتش ، وصمت الثلاثة أيضاً ينتظرون .

– الفلكيون يتكهنون بطقس رديء . من الممكن ان تحدث في تموز والشهور التالية زيادة شديدة في نشاط الشمس . وربما لا تنفع **الحماية البيولوجية** الموجودة في «المريخ» . كل ذلك مجرد فرضيات في الحقيقة . ومن الممكن كلياً ان لا يحدث شيء ، والتنبؤ هنا صعب . . . . ولكن اقول لكم كل شيء بصدق حتى تعرفوا . من الممكن ان يزيد مقدار الاشعاع في داخل السفينة على الحد المقبول ،

قليلاً ولكنه سيزيد . لا يوجد خطر على الحياة ، ولكن قد يوجد خطر على الصحة . ويجب ان تعرفوا ذلك . ان طيرانكم ليس مهمة سهلة لطيار . ولكم حق الرفض .

وصمت الثلاثة . ويقول رازدولين اخيراً :

– انا مستعد للطيران .

– يا ستيبان تروفيموفيتش – بدأ اغاركوف الكلام ببطء غير ناظر الى الكبير – انت نفسك تقول : «وقد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن» . ولكن يجب الطيران . والمريخ غير القمر . اذا كان بالامكان تأخير الطيران عدة أشهر ، فلننتظر ، فهذه قضية أخرى . والآن هل ننتظر حتى المقابلة التالية ؟ المجازفة هي المجازفة . وأين لا توجد المجازفة ؟ حتى صيد سمك صغير فيه مجازفة . ما رأيكما ، ايها الزميلان ؟ – والتفت الى فرونتسوف – من رأيي ان نطير ، ولكن اذا . . .

– أنا لا أطير – يقاطعه فرونتسوف .

— كيف لا تطير ؟ — يسأل رازدولين ليس في دهشة بل في رعب بالأحرى .

— هكذا ، لا اطير — وحدقت عينا فورنتسوف الشهلاوان بحدقتي اندريه .

— هل انت خائف ؟ — ويتوتر رازدولين كالوتر .

قلّص كبير المصممين عينيه من وراء النظارة ، وراح يدير قلماً أحمر سميكا بين يديه .

— أخاف ... أتذكر كيف سرت شائعة تزعم أن تيتوف مريض بالشعاع . بينما كان مريضاً بالتهاب اللوزتين ، ولم يستطع الذهاب الى احد الاجتماعات والعجائز في طوابير الانتظار اشفقوا على غرمان . أنا اتذكر جيداً ماذا قالوا آنذاك ... ولكن ذلك كان بلادة . أما الآن ؟ ! من يطير ؟ رازدولين ؟ فورنتسوف ؟ هراء ! الاتحاد السوفييتي هو الذي سيطير الى المريخ ! واذا يحدث شيء ما فلن يجري الكلام عنا في آخر الأمر ... نعم ، ما القول — وهزّ فورنتسوف ذراعه — كل

شيء واضح ... يا ستيبان تروفيموفتش — وتحوّل الى الكبير — يجب القيام بشيء ما ... أنا ، بالطبع لا اعرف هل ممكن هذا ، ولكن ...

والكبير مقلّص عينيه يلعب بالقلم ، ويقول :

— نحن نقوي شاشات الحماية البيولوجية . نقويها على حساب وزن الحمولة النافعة للسفينة . ولا يوجد مخرج آخر اذا اخذنا بحساب الموعد . ولهذا سيطير اثنان ، لا ثلاثة ...

ثلاثة وجوه شابة ، جميلة ، جادة جداً .

ويفكر الكبير : «فورنتسوف سيطير حتماً» .

١٦

صباح شفاف بارد . واشخاص يسيرون نحو المدخل . واذا نظرت من الاعلى رأيت امتداد خطوط المارة السوداء المرتبطة كعقدة صغيرة بالبيت الصغير الذي يدخلون فيه . واقبل باص ، مثل خنفساء صغيرة حمراء ،

وانتثر الناس منه من بابه الامامي وبابه الخلفي الذي علقت عليه لافتة تخيف بتشاؤمها : «النزول ممنوع» .

وعلى مقربة من السياج ، الى يمين المدخل ، يصطف صف من السيارات . ليست بعدد كبير جداً . زهاء عشرين سيارة أغلبها من طراز «موسكفيتش» . وتقف سيارة باخروشين «الفولغا» ببطء ودقة في صف السيارات ويقفز باخروشين من السيارة بخفة . وفي تلك اللحظة يفرمل موتسايكل ردكين بالقرب من «الفولغا» محدثاً صوتاً حاداً مرسلاً دخاناً ازرق مراً .

— التحية يا فيكتور بوريسوفتش — يقول ايغور مرحاً خالعاً نظارته . فيجيب باخروشين وهو يقفل باب «الفولغا» :

— طاب يومك . تبدو كمسابق شجاع .

— لست شجاعاً بل سيئ الحظ . لكي أصل الى هنا عليّ أن اقوم باربع تحويلات . فأنا اعيش في مكان ناء — في شارع جيفوبيسنايا .

— اين يقع ؟ — يسأل باخروشين في اهتمام .

– من الكومبينة الكيمياوية في الباص رقم ١٠٠، الى آخر الخط .

ويصطفان في احد الطوابير القصيرة المتحركة بسرعة ، الدائرة في ابواب المدخل الدوارة ، مثل تيار نهري لألواح الطوربينات المائية .

ووراء المدخل يستمر الحديث الذي بدئ . يقول باخروشين :

– لماذا لا تبادل مكان سكنك بمكان قريب من العمل ؟ سمعت أن الكثيرين يبادلون .

– نعم ، يبادلون ، انا أعرف .. ولكن مدرسة أمي بالقرب من بيتنا ... وستضطر الى ركوب واسطة نقل .

– هل هي معلمة ؟

– نعم ، للغة الروسية .

– ولكن هنا ايضا ، توجد مدارس كثيرة .

– انها تعمل في مدرسة داخلية للاطفال العميان . ولا تتركها ...

– وابوك ؟

– قُتِل في ١٠ ايار ١٩٤٥ ... توجد

بلدة في تشيكوسلوفاكيا تسمى تشسكا ليبا ... وصمتا .

ويفكر باخروشين : «ما أقل معرفة بعضنا ببعض . ردكين يعمل عندي منذ اربع سنوات ، وأنا دائماً كنت أفكر بان له عائلة كبيرة صاخبة» .

— وهل أنت وحيد لأمك ؟ — سأل باخروشين .

— لا ، — وابتسم ايغور بشعور بالذنب — لي اخت وأخ . والاخت متزوجة ، وقد سافرت الى كاراغاندا . أما الاخ فتكنيكي يعمل في الكومبينة الكيمياوية .

ويفكر باخروشين : «نحن لا نتحدث مع انسان حديثاً اعتيادياً . فظيع ان نتحدث في الاشغال فقط» . فيسأل :

— هل ستشغلون الجهاز المفرمل المحرك اليوم ؟

— نعم ، نريد تجربته .

— رأيت أرقامك ، لا تستعجل . وكن على حذر ...

– ولكنه جهاز وادع .
– تلفن لي حين تشغلونه .
– حسناً .
وافترقا . باخروشين الى مكتبه ، وردكين الى حجرة الاختبار .

١٧

كانت حجرة الاختبار تقع في بيت من طابقين مؤلف من حجرة من الاسمنت وضع فيها المحرك ، وغرفة فيها جهاز والواح التوجيه . والآن كان في الحجرة ج م م – الجهاز المفرمل المحرك لردكين ومايفسكي ، وفي الغرفة أناس . وتتصل الحجرة بالغرفة بواسطة باب كبير شبيه بما هو في ملجأ للغارات . وهناك نافذتان صغيرتان من الزجاج غير القابل للكسر تتيحان مراقبة المحرك في عمله . وفي الغرفة الى جانب النافذتين الصغيرتين لوحة كبيرة فيها ازرار ومفاتيح وصفحات الأرقام للاجهزة . وقلم مشدود بخيط . وفي الأسفل دفات لامعة بنيكلها للصمامات الرئيسية .

وفي الاعلى مصابيح نيونية . ومصابيح اخرى تضيء جدار الأجهزة .:عشرات من لوحات الاقيسة ، وعدداً من مقاييس الضغط الزئبقية . ووجهت الى الجدار آلة تصوير . وغالباً ما يستمر التشغيل الاول بضع ثوان فقط ؛ وبالطبع ، لا يمكن أبداً تسجيل ما تظهره كل الاجهزة . ولهذا يصور الجدار .

وفي زاوية من الغرفة خرطوم فيه شق ملحوم ، وحدائد صدئة بقيت منذ العام الجديد . قبيل عيد أيار سيجري في جميع المختبرات تنظيف شامل ، سيحملون الخرطوم الى كومة المهملات . سيحملون ايضاً كثيراً من الاشياء الضرورية . وفيما بعد سيأتي المهندسون من مختلف المختبرات الى كومة المهملات و«ينبشون» ويفتش كل واحد عن بغيته . وبعد الاول من ايار وعيد أكتوبر يمكنك أن تجد في كومة المهملات كل ما تريد ، على شرط أن لا تتأخر ...

في الحجرة وضع الجهاز المفرمل المحرك وهو عبارة عن شبكة هائلة من انابيب التوصيل

والأسلاك مختلفة في اقطارها والوانها ، وعناقيد من الصمامات ، وتوصيلة ، ودينامومترات تقيس الجذب .

واليوم تجري التجارب الاولى على ج م م والأصح ليست التجارب الاولى بالطبع . فقد أجروا تجارب باردة ، ودققوا أرقام صرف الوقود والأكسدة . حتى الآن تطابق كل شيء بشكل جيد . (قال ردكين : ممتاز !) . واليوم التجارب الحية الاولى ويجب أن « يشغّل » المحرك ، ويشتغل الوقت المطلوب . وحين سيكون كل شيء على ما يرام يمكن ان يُجرب ايقافه عدة مرات وتشغيله من جديد : للتأكد من أن تشغيله يجري برفق . ولربما حتى تجريبه على الانظمة المختلفة .

وقد نصب بالفعل الجهاز المفرمل المحرك على السفينة التي يجب ان تنطلق الى المريخ ، محرك يغوروف . في حين يعتبره مايفسكي وردكين محركاً خشناً في القيادة . ويعرف باخروشين ان محرك يغوروف ليس خشناً بشكل كبير ، وأنه حسن الصنع ، ولكنه موقن

بأن الحقيقة تولد خلال النقاش . ولهذا ادخل قضية اختراع محرك جديد رفيق في خطة المختبر . ووافق ستيبان تروفيموفتش على ذلك اثناء مناقشة الخطة في المجلس العلمي . وكانت له أفكاره الخفية . فقد رضي عن محرك يغوروف ليطلق الى المريخ . ولكنه كان بحاجة الى محرك جديد لينطلق الى الزهرة . فهناك قوة جاذبية دائمة أكبر ، وهناك تفريغات الشحنات الكهربائية للعواصف المطرية تعرقل عمل المؤشر اللاسلكي للهبوط ، وهناك تقلل السحب الرؤية ، والشيطان يعرف ماذا بعد ايضاً . ولهذا فهو بحاجة الى جهاز مفرمل محرك يهبط برفق . وكان لطيفاً أن يصنع مقدماً . وعندما يصنع يمكن أن يحول مختبر باخروشين بعد المريخ مباشرة لاعداد القمر - المرصد بسعة ثمانية اشخاص ، والذي يجب ان يُشرع في انتاجه بعد عام ، في كانون الأول . وطبيعي ان ستيبان تروفيموفتش لم يحدث باخروشين بهذا كله ، ولكنه كان فرحاً عن صدق بلقيطته في الخطة ، بل وفي سره اثنى

بالكلمة الطيبة على هذين الشابين اللذين بقي اسماهما في باب «المنفذين» .

وهكذا ولد الجهاز المفرمل المحرك لردكين ومايفسكي . والاصح لم يولد ، بل تجري عملية توليده .

١٨

وصل ردكين الى حجرة الاختبار في الساعة التاسعة تماماً . ورأى ، وهو يعلق فيشته على لوحة الحضور ، أن مايفسكي في مكانه بالفعل . كان يوري جالساً وفي يده مسطرة على مقعد مستدير عند لوحة التوجيه في موضع منكمش غير مريح يحسب شيئاً .

— الديك يستيقظ مبكراً ، والشرير أبكر — قال ايغور ذلك بدلاً من التحية .

وسكت مايفسكي .

وسأل ايغور :

— هل جربت القواطع ؟

هزّ مايفسكي رأسه .

فتح ردكين الباب الثقيل فتحة ضيقة ،

ودخل الحجرة . كان يعمل على الجهاز ميكانيكيان : بيتكا سوكولوف وميخاليتش . وتصافحوا .

– هذا ايغور يعرف كل شيء ، ويصلح لي اذا اخطأت – تابع ميخاليتش حديثاً قد انقطع – قل لنا : هل الأميرال يأخذ راتباً أكبر من الجنرال ؟ وتقاعده أكبر !

فأجاب ايغور : – الشيطان يعرف هل يقلقك شيء في ذلك ؟ أم خدعوك في حساب الراتب ؟

– ولماذا ؟ – خفض ميخاليتش بصره في تواضع – مجرد سؤال .

كان ميخاليتش رجلاً مذهلاً . بدأ العمل هنا قبل وقت طويل من بدء الحرب . وقد جرت أمامه تجارب الصواريخ السوفييتية الأولى . شغل أول محرك ذي وقود سائل من الاوكسجين . وقد جلب له بنفسه من المدينة اوكسجيناً سائلاً . كان الطريق الى ساحة الاطلاق قد أتلفته امطار الخريف . وتخبطت العربة التي كانت تحمل وعاء لحفظ الغازات في الوحل ، وتبخر الاوكسجين ، وراح

يقل أكثر فأكثر . حينذاك فكّ عدة الخيــول وصنع من عـُرُش العربة مثل الحمالات ، ونقلوا أربعتهم الاوعية خلال الوحل البـارد الكثيــف كالزبدة . وصاح اولاد القرية ، وهم ينظرون الى بخار الاوكسجين الأبيض : «انظروا ينقلون الماء الفائر !» ولكن أحقاً كان من الممكن نقل كل شيء ! وكثير من الذين كان يتذكرهم وهم صغـــار تمامــاً صاروا دكاترة في العلوم ، واكاديميين ، وناســاً كباراً يترددون ببساطــة على أرفع المكاتب . وكان كبير المصممين اينما التقى بميخاليتش ، ومهما يكن الشخص الواقف الى جانبه يسلم على ميخاليتــش اولاً . ويصافحه ! وكان في فريق المركبين لأول قمر صناعي ، ولقاء ذلك حصل على نيشان .

وكان ميخاليتش يملك فضــلاً عن يديــه الفريدتين الذهبيتين عقلاً رحباً بشكل مدهش يدخر قدراً كبيراً مــن المعلومــات المختلفــة الضرورية له ، وغير الضرورية كلياً . فهو ، مثلاً ، يحفظ عدد « π » الى حد اثنتــي عشر رقماً ، ويعرف بالضبط التغييرات الاخيرة

في سعر العملة الاجنبية ، ويشرح كيف تتجامع الحيتان . وكان آخر الهيـــة لـــه شراء دائـــرة المعارف السوفييتية الكبيرة التي قرأها مجلداً بعد مجلد على التوالى .

وكان ميخاليتـــش ميكانيكيـــاً ذا دهـــاء وتجربة ، وصديق عمال المخازن والمستودعات . وكان بوسعه ان يحصــــل على كـــل شيء وأن يؤلف جدول التجارب بطريقة غاية في المنفعة ، ويقوم بتجربتين حيث لا يكاد الآخرون ينهون تجربة واحدة . وكان المهندسون يستميلونـــه بعضهم عن بعض ، وقد بلغ النضـــال من أجل ميخاليتش حداً بعيداً بحيث كان على باخروشين نفسه ان يتدخل في الجدال .

وكان بيتكا سوكولوف ، في وقت مـــا ، ميكانيكيا من الدرجة الاولى أيضـــاً ، ولكنـــه في المدة الأخيرة «فقد مهارتـــه» كمـــا قـــال ميخاليتش .

قبل عامين انتخب بيتكا أمينـــاً للجنـــة الكومسومول للمؤسسة كلها . وهذا المنصب يتطلب التفرغ له ، فترك بيتكا حجرة الاختبار .

وعمل جيداً ، وأعتبر في لجنة الناحية واحداً من أحسن الامناء . بل كاد لا يذهب الى المهرجان . وفي العام التالي انتخب بيتكا أيضاً . وهنا أصبح فخوراً ، وأخشوشن صوته ، واحب التخويف بالاستدعاء الى اللجنة ، وتعلّم على القاء الخطب المتهورة في الاجتماعات . وهكذا تعود بيتكا على وضعه «كقائد» وعلى كل الامتيازات النابعة من ذلك حتى لم يكن في وسعه أن يحلم بأية درجة أخرى . ولهذا حين «انزلوه» بدفعة في المؤتمر الكومسومولي الاخير لم يدرك رأساً ماذا حدث . نعم ، لقد اسقطوه . عند ذاك اخذت الكلام آنا غريغوريينفا منظمة الكومسومول في قسم يغوروف و«كالت» له . وسكتت القاعة ، ولو طارت ذبابة لسمع صوتها . ثم نهض زاليسكي (ولم يكن بيتكا يتوقع منه أبداً) ثم كفاشنين ... وقبيل الاستراحة تكلم أيضاً باخوموف من اللجنة الحزبية ... ولسبب ما تذكر بيتكا عبارته التي هي أكثر العبارات تكديراً له : «غالباً ما يستعيض سوكولوف عن العمل الكومسومولي النشيط بالافراط الاداري

والجمل الطنانة» . وصفقت القاعة ، وعند ذاك فهم بيتكا أنهم اسقطوه .

ولم يبق أمامه ، على اية حال ، إلا العودة الى حجرة الاختبار في المختبر . وعــاد بيتكا . وقد حدث هذا كله في الخريف . وقضى بيتكا ثلاثة اشهر تقريباً يسير منزعجا ، وكان يخجل من النظر في عيون الناس ، وكأنما أرتكب نذالة ، وإذا ضحك الناس تصور بيتكا أنهم يضحكون منه ، وإذا صمتوا تصور انهم يقاطعونه . كان يتعذب .

وميخاليتش هو الذي اعاد اليه شعوره . أتخذه زميلاً له في العمل و«جربه» على آلة جديدة ظهــرت حين كان بيتــكا «جالســاً في الأعلى» .

والآن كان الإثنان على وشك ان ينتهيا من فحص جهاز الفرملة قبل تشغيله . سأل ردكين :

– كيف القواطع ؟

– ماذا بها ؟ – سأل بيتكا بدوره .

– هل فحصتما القواطع ؟

– فحصنا كل شيء .

— هل سنشغل قبل فترة الغداء ؟

— لا تستعجل — قال ميخاليتش — الى فترة الغداء نهيئ كل شيء . وعند ذاك نشغل .

— نحن مثل الفيلة ، عندما تحين الساعة الثانية نلقي حمولتنا ونذهب للغداء ! — قال بيتكا ذلك .

— اصمت ايها «الفيل» — قال ميخاليتش بلذع .

— ربما قبل الغداء ؟ وإلا فان يغوروف سيأخذ حجرة الاختبار غداً — قال ايغور دون تعب .

— تمش — قال ميخاليتش في رقة — لا تعرقل العمل ...

وفهم ايغور أن ميخاليتش لن يشغل الجهاز قبل الغداء ، فخرج من الحجرة ...

لم يتصلب ميخاليتش . لقد رأى في حياته مئات من المحركات الصواريخية ، وعرف اخلاقها أكثر من اي مهندس : وقد أعجب بجهاز ردكين ومايفسكي المفرمل . كان جميلاً ذلك الجمال الفريد غير المفهوم لكل انسان ، جمال الآلة

الذي لا يأتي من مظهرها الخارجي ، بل من تناسقها الداخلي وكمالها . وشعر ميخاليتش انها تقف في حدود الإمكان اليوم ، وشعر بأنها غير اعتيادية . ولهذا لم يستعجل . فاذا تلف هذا المحرك سيشعر بالأسف ، بالرغم من أنه شعر من علامات صغيرة كثيرة ، أنه لا ينصب في «المريخ» بالطبع .

ويسأل ميخاليتش ، وهو يشد بالمفتاح توصيلة احد الصمامات :— هل تعتقد يا بيتكا أن في المريخ حياة معقولة ؟

— معرفة ذلك شيء طريف بالتأكيد — يقول بيتكا عميق الدلالة — ولكن الاطرف إذا كانت هناك حياة فهل هي أحسن من حياتنا ام أسوأ ؟

١٩

بعد الغداء شاع النشاط والبشاشة في حجرة الاختبار حيث يجب أن يشغل جهاز ردكين ومايفسكي . جاء كودسنيك وشيرشوف . وبالرغم من ان كودسنيك كان رئيساً إلا

أنه لم يتدخل في شيء معتبراً ان الترؤس الآن حماقة منه .

وتهيــأ كل شيء . وأطلق ميخاليتــش صافرة . صفرتان طويلتان تعنيان : الدخول في الحجرة ممنوع . ويقول ردكين لمايفسكي بخفوت :

– طلب باخروشين أن اتلفن له .

– إذا كان قد طلب يجب ان تتلفن له – أجاب يوري بكسل . فيقول ايغور :

– تلفن انت .

ويتلفن مايفسكي ، ولكن يتبين ان باخروشين عند كبير المصممين . ويقول ردكين :

– لا ننتظر . فقد مضى وقت طويــل . سيرى فيما بعد كثيراً . لنبدأ .

واشتعلت المصابيـح المضيئــة لجــدار الأجهزة . ويسأل ايغور :

– هل ستصور يا يوركا ؟

– نعم – ويمسك مايفسكي في يده بمقبض خشبي صغير شبيه بمقبض حبل القفز للاطفال ، في نهايته زر صغير . ومن الزر يمتد سلك الى

آلة التصوير . ويضغط على الزر – تصويـــر .
والعمل ليس سهلاً : فلو يضغط على الزر في
وقت مبكر قليلاً عندما لا يسير الجهاز حسب
النظام ، فستهتز المؤشرات ، وتخرج الصورة
غير واضحة . والتأخير يعني تشغيل جهاز بلا
جدوى ، ولن يتسنى الوقت لتصوير كل شيء .

ويفتح بيتــكا سوكولــوف دولابـــا ذي
صليب احمـــر على الباب ، ويخرج لفة قطن
طبي ، ويوزع لكل واحد قطعـــة . ويحشــون
آذانهم . ثم يرتدي بيتكا وميخاليتش ويوري
الخوذ ، ويشدون مكروفونات الحلق وتنسجم
الخوذة مع وجه مايفسكي جداً . فيشبه طياراً
مشهوراً . ولا يلبس ايغور خوذة ، بل يكتفي
بان يحشو في اذنيه قطنـــاً . وهو يعرف أن
مكروفونات الحلق «للتزويق» فقد تعطلت منذ
زمن طويل . لذا يجب ان تعطى اوامر التشغيل
بالأيدي . وهو يعطي الأمر بالاطلاق والصمت
ما يزال سائداً . أما فيما بعد فالجميع يعرفون
ماذا يفعلون دون حاجـــة الى أوامـــر . وإذا
أقتضى فجـــأة وَقْف الجهـــاز يرفع ذراعيـــه

المتقاطعتين فوق رأسه . وهذا كل ما في الأمر .
وهذه الخوذة تؤذي اذنيك فقط .

وتفـرق الجميع الى اماكنهـــم . ووقف كودسنيك وشيرشوف عنـد جدار الأجهـزة كضيفين . ويفكر شيرشوف أن كل شيء يمكن ان يحصل . قـد ينصبون الجهـاز المفرمل المحـرك على «المريخ» فعـلاً . عنـد ذاك من المهم أن لا يُفسد جهـاز التثبيـت الذي كان عليه أن يكدح فيه ، وأن لا يدفع به ذات اليمين وذات الشمال ، والله يعلم أيضـاً إلى ايـن . وينظـر الى أقـراص الاجهـزة . ويعرف كودسنيك ان مخـاوف شيرشـوف هي «مخـاوف ثانوية» . القوة مهمـة ! يارب ! لوأن قوة جهازهم كانت اكثر ، ولو بقليل ، من قوة جهـاز يغوروف ! فان عدد اجزاء التركيب عندهم اقل . عند ذاك سيحسم الامر ، عنـد ذاك سيكون النصر . عنـد ذاك سيفشـل يغوروف .

ردكين واقف عند لوحـة التوجيـه . ومايفسكي على بعد ، قرب آلـة التصويـر .

وميخاليتش وراء اللوحة الرئيسية ، وبيتكا في زاوية ، عند لوحة أخرى يراقب المضخات .
ويقول ايغور بخفوت :
– اشارة ، يا ميخاليتش .
وتصيح الصافرة ثلاث صيحات موحشة تقبض القلب محذرة من ان التشغيل سيتم الآن . ويبلل ايغور شفتيه ، وينظر يوري الى ايغور . وكودسنيك وشيرشوف لا يصرفان عيونهما عن جدار الاجهزة .
– تشغيل – يقول ردكين بصوت عال ، ولكن بهدوء تام .
وسمع الجميع نقرة خافتة عميقة : تلك هي الصمامات الرئيسية قد انفتحت ، وفي تلك اللحظة ارتفع هدير مخيف متعاظم في كل لحظة . ان هذا الصوت يصعب وصفه . انه لا يشبه كثيراً دوي الطائرات النفاثة . فذلك دوي . وهو لا يشبه مطلقاً ضربات المطارق الجبارة الضارية الصافرة ، فتلك ضربات . وهو ليس هدير انفجار الالغام المتكسر الى الوان متعددة من الاصوات ، ولا رعد عاصفة

مطرية في تموز . ان قاموسنا الصوتي لا يكفي .
انه مجرد صوت متساو لقوة لا تعقل تردد
«آ - آ - آ» .

وفي الحال قفزت مؤشرات جدار الاجهزة وكأنما جفلت خائفة ، ورأى ايغور من الشباك كيف توقدت الى حد الاحمرار فتحة الرؤية على الأرض ، وكيف ظهر عامود الغازات المحترقة الازرق الشفاف ، المضيء بسطوع كل ما حوله . لم ينظر الآن الى الاجهزة : ركز كل انتباهه الى تلك الصورة التي لا تنسى ، والتي لا تقارن بشيء ، والتي تثيره دائماً بعمق ، صورة الانفجار المسيطر عليه بالمعدن ، والمستمر دون انقطاع - هكذا يعمل المحرك الصاروخي . وعرف دون ان يرى مقياس الثواني انه يجب ايقاف المحرك فرفع ذراعين متقاطعتين . دخل اللهب غير الملون في الفتحة . وصدر صفير ، ثم هسيس ، ثم صمت . بعد ان تسمع ذلك الصوت فقط تعرف ما هو الصمت .

التفت كودسنيك فرحاً .

ـ ايها الاخوان ! الحمد لله هذا حسن ! ولكن لنكرر ...

وكرروا .

ثم كرروا مرة أخرى .

ـ فترة تدخين لمدة خمس دقائق ـ اوعز مايفسكي وهو يفك خوذتـه . اعترض ردكين قائلاً :

ـ انتظر ، لنجرب مرة أخـرى ، بوقفة بطيئة .

ـ لندخن ثم نجرب ـ قال ميخاليتش ، ـ الساعة الثالثة فقط .

التدخين محظور في حجرة الاختبار . فخرج الجميع . وبقي كودسنيك وحده مع ردكين .

ـ لطيف يا ايغور ! ـ وكان وجه كودسنيك ينم عن فرحة مدهشة .

ويقضم ردكين شعاف اظافره .

ـ مرة اخرى ، يلزم مـرة اخرى ... يا بوريا ! كيف يعمل ؟ هـا ؟ حسـن ومن الممكن وضعه على موتسايكـل !.. خرجـوا يدخنون ، اولاد الكلبة !

– حسنـــاً ، انا ذاهب . ربما عاد الرئيس ...

– خبرهم ... وجدوا وقتاً يدخنون فيه !

يوري وبيتـــكا وميخاليتـــش جالســـون في الشمس الربيعية قرب مدخل حجرة الاختبار يدخنون حول برميل حديدي مدفون في الارض فيه اعقاب سكائر .

ويقـــول ميخاليتـــش دون ان يخاطـــب احداً :

– قرأت في جريدة «كومسومولكا» انهم تعلموا في انجلترا استخراج حليب من العشب ، دون واسطة بقرة . حليب كالحليب ، الا ان رائحته بعض ...

– هذا ممكن بكـــل تأكيد – يؤكـــد بيتكا ويقول :– هل هذا عجيـــب ؟ – وينظـــر الى مايفسكي .

ويصمت هذا ، ويفكر بافكاره ، وبـــان القواطع كان يجب ان تجرب على جميع الظروف على انفراد ، وينظر كيـــف تعمـــل الاقطـــاب المغناطيسية . ولكن ما جدوى التفكير في ذلك

الآن ؟ فات الاوان . وأخذ يقول لنفسه يجب ان لا ينسى ان يطلب الى نيكيتـا من المختبر السابع عشر شرائط تسجيـل لاغاني « اومـا سوماك جديدة » ، وينقلها .

خرج كودسنيك ، وقلـص عينيـه من الشمس .

— اين سيرغي ؟

— ذهب الى المختبر — يجيب مايفسكـي .

— انا ذاهب ايضاً . لنشغل يا ميخاليتش مرتين او ثلاثاً بوقفة لينة ...

— سنفعل الآن ... — يجيب ميخاليتش دون ان يتحرك من مكانـه ، ودون ان ينظـر الى بوريس . ان كلمـات كودسنيـك تكدره قليلاً ، كأنه لا يعرف نفسه ماذا يجب ان يعمل .

وينصرف كودسنيك . وتظـل قامتـه ترى من بعيد على الدرب الاسفلتي المستقيم . انه يسير مسرعاً بخطوات عريضة . ثم يأخذ فجأة بالقفز عبر برك الماء كالعنز . الربيع ! الشمس ! الجهاز المفرمل المحرك قد شغل ! وكل شيء

ممتاز على العموم ! ويرى ميخاليتش ذلك ، ويبتسم قليلاً ، ويقول في حزم :

– لنذهب .

٢٠

حجرة الاختبار مرة اخرى . والجميع في اماكنهم من جديد .

– تشغيل ، – يقول ردكين بصوت عـال وبهدوء مرة اخرى ، ومرة اخرى يبتلع الصوت كل شيء .

ويضم ايغور قبضته اليمنى . ويطلع الابهام وينزلـه الى الاسفل . في رومـا القديمة كان المتفرجون يأمرون المصارعين بهذه الاشـارة بالقضاء على العدو الملقى لهم . اما هنا فهي علامة الفرملة البطيئة . والابهام الى فوق يعني زيـادة سرعة عمل المحرك بالتدريج : ويرى ميخاليتش الابهام ، ويدير الدفة الصغيرة على لوحة مفاتيح التوجيه ببطء . ويغير الصوت نبرته بانسياق ، وفجأة ينقطع بصفير مخنوق .

– اوقف المضخات ، – يصيح ميخاليتش على بيتكا قبل ان يدرك ردكين ومايفسكي ما حدث . وتضرب يدا بيتكا على ازرار لوحة التوجيه خطفاً .

– اوقف كل شيء ، – يقول ميخاليتش بهدوء الآن ، ويلتفت الى ردكين – القاطع ، لا اعرف اي قاطع منها .

– لنذهب ونر ، – يقول ايغور . فيسأل ميخاليتش بيتكا :

– هل قطعت كل شيء ؟ افتح جهاز التهوية .

وينحني ميخاليتش وايغور ويوري على الاسلاك المتشابكة بشكل متحايل .

– هذا هو ، – يقول يوري ويشير باصبعه – اغلب الظن ان المغناطيس جذب الابرة بحدة .

– انا نسقته بشكل انسيابي ، – يقول ميخاليتش .

ويدخل ايغور يده الى حيث اشار مايفسكي ، ويجر شيئاً باصبعيه .

— يا لك من شيطانة حارة ! بالضبط . انت نسقته بشكل انسيابي ، والمغناطيس يجذب بانسياب ، ولكن للابرة مجال متوتر طليق ، فتسير بحدة ... تعال نجرب مرة اخرى ، لقد هززتها يبدو لا بأس بها .

ويخرجون من الحجرة ، ويعاد كل شيء . سوى ان ميخاليتش لا يستطيع الآن ان يصيح ببيتكا . فقد كان بيتكا شديد الانتباه ، متحفزاً بكليته مثل قط عند جحر للفئران .

واختنق المحرك ثانية .

ولاح غضب مجنون على وجه ايغور . ما ان انتهى المحرك عمله حتى اندفع الى الحجرة ، ويشتم شتماً خبيثاً ، ومرة اخرى جر شيئاً ما ، وكوى يديه ، فكز على اسنانه ، وتجهم .

— هي مرة اخرى ؟ — يسأل مايفسكي من وراء ظهره . ويحتفظ ببرودة دمه المحمودة ويقول ردكين :

— ومن غيرها !

— يجب فك القاطع ...

ويجذب ايغور نحوه شيئا ما بضراوة — ويدفعه عنه ، ثم يجذبه ، ويدفعه ... ويقول :

— لنجرب مرة اخرى ، آخر مرة .

والجميع في اماكنهم مرة اخرى .

— شغل .

ومرة أخرى يفرمل ردكين المحرك باشارة رومانيـــة . وتشير الاصبـــع بنفـــاد صبر : الى الاسفل ، الى الاسفل ، الى الاسفل ! وميخاليتش الآن لا ينظر الى الاصبع ، ويدير بحذر ، وكأن الدفة من البلور ، ويخاف ان يكسرها . ومرة أخرى ينقطع الصوت بصفير غاص .

— اللعنة ! — يصرخ ايغور ، ويندفع الى باب الحجرة في قفزة .

— الى اين ؟

ولكن صراخ ميخاليتش يقطعه انفجـــار مقتضب عميق وكأنه صادر من بعيد .

يدا بيتكا على الازرار . ووجه مايفسكي الجميل في الخوذة . ويتحول عن جدار الاجهزة ، ويجمد ، ويضغط على المقبض ذي الزر برعصة .

ومن باب الحجرة الثقيل الذي فتحه ايغور قليلاً ينبعث دخان ازرق متمرغاً على الارض . ويندفع ميخاليتش الى الحجرة ، ثم يظهر عند الباب سريعاً جداً ساحباً تحت ابطه جسد ردكين المتدلي الهامد . كان رأسه الرطب الدبق بالدم متدلياً الى الاسفل ، ومائلاً الى جانب قليلاً .

– ساعدني ، – يقول ميخاليتش لمايفسكي بصوت اجش .

ومايفسكي ما يزال غير عارف اين يترك المقبض ذا الزر ، ويتلفت في عجز هادئاً بشكل غير مفهوم . وبطيء الحركة . واخيراً يعلق السلك على آلة التصوير ويقترب ، وبحذر شديد يمسك ساقي ايغور ويرفعهما .

– لا بأس ، لا بأس ، – يقول ميخاليتش همساً . – ارتطم في الباب قليلاً .

٢١

عند باب حجرة الاختبار ، هناك حيث كانوا يدخنون منذ وقت وجيز جداً كان جمع

صغير يحيط بسيارة الاسعاف الفطساء الانف .
ويخرج النقالة من الباب رجلان في مريولين ابيضين . رأس ايغور ابيض مضمد كله بضماد ابيض . ووجهه مسود . وعند باب السيارة يتأخر رجلا الاسعاف قليلاً . ويتقدم بوريس كودسنيك الى النقالة تماماً ، ويمسك يد ردكين . وينظر احدهما الى الآخر لثانية واحدة صامتين وبوقار شديد . ثم يغمز ايغور لبوريس ، يغمز باكثر ما يستطيع من المرح ، وبكل ما له من قوة .

٢٢

القطة الغامزة المعلقة فوق منضدة ردكين .
وخمسة مهندسين يجلسون في اماكنهم . يجلسون لا غير ، لا يقرأون ، ولا يكتبون ، ولا يتحركون بمؤشرات مساطر اللوغاريثمات . يجلسون مستقيمين في جلساتهم ، هادئين ، مسودين من اثر الانفجار الذي حصل في الحجرة ، وايديهم هامدة ، في أوضاع ميتة غريبة .
والظلام مخيم وراء النافذة .

وفجأة دق التلفون بحدة . وبوريس كودسنيك جالس لا يتحرك ، وكأنما لا يسمع . وربما لا يسمع فعلاً . تناول شيرشوف السماعة .

– نعم ... أرجو المعذرة من الذي يسأل ؟

ويسد شيرشوف السماعة بيده ، ويقول مخاطباً الجميع :

– يتلفنون من بيته ... ماذا نقول لهم ؟

غطت نينا وجهها بيديها سريعاً وانكبت على المنضدة .

٢٣

ليلاً . باخروشين يخرج من المدخل ببطء ، ويتجه نحو «الفولغا» . ويتوقف فجأة حين يرى موتسايكل ردكين . ميدان خال الا من «الفولغا» وموتسايكل . حيوان حديدي ذو عينين مع رضيعه . ويقف باخروشين طويلاً محدقاً بالموتسايكل . وفي رأسه فكرة واحدة : «أمن المعقول انه سيموت ؟»

٢٤

ليلاً . وكبير المصممين يجلس وراء المنضدة ، تحت ظليلة المصباح ، وامامه قدح شاي كبير ، ينظر بعيداً بلا حراك .

ويفكر : «ردكين . مَنْ هو ردكين هذا ؟ انا لا استطيع ان اتذكر وجهه ابداً . اتذكر اسمه . ردكين الذي يصنع في قسم باخروشين جهازا مفرملاً محركاً ليناً . اتذكر جيداً ... اما الوجه ... صعب جداً و ... يجب ان اتذكر الوجوه ... علي ان اتذكر آلاف الوجوه ... ردكين ... ردكين ... يقولون انه تحمس ، ونسى كل شيء ... ولكنه ، بشكل رئيسي ، على صواب في شيء ما ... وما قيمة اولئك الذين لا يتحمسون ... يجب ان يكون الحماس حالة دائمية للانسان ... ردكين ، يا ردكين ، لا استطيع ان اتذكرك ، ايها الصديق ، لا اتذكر ...»

ودخلت زوجته .

— اشرب الشاي ، يا ستيبان ... برد كلياً ... ونم فان الوقت متأخر .

ويفكر ستيبـــان تروفيموفتـــش : «يجب ان ازوره» . والآن يتصور انه سيذهب ، غداً سيذهب الى المستشفى ، يقتصد وقتاً ويذهب .

ولم يذهب : في الصباح طار الى موسكو .

٢٥

انقضى شهران .

مساء . رصيف شاطئ مقفــر . ومـــن بعيد يلوح شبحان صغيران . وسيارات اللوري تنطلق مقرقعة بحواجزهـــا . اما السيـــارات الصغيرة فمستقلة بذاتها . بل لا يصدق الانسان ان فيها ناساً . يجلسون ، وينظرون على الجانبين ، ويرون ذينك الشبحين عند الحاجز الغرانيتي . سيارات مطفأة العيون ، مشغولة بشؤونها ، وكأنما تعيش حياتها الخاصة غير المرتبطة بالناس .

اندريه ونينا يسيران على رصيف الشاطئ . فهنا الناس قليلون دائماً . واندريه في ملابس

مدنية . بدلة رمادية عصرية «منمقة» وللسترة فتحتان على الجانبين .

– نكتة أخرى – يقول اندريه مرحا – تذكرت . امريكي وفرنسي وانجليزي وروسي ويهودي يطيرون في طائرة ...

فتقاطعه نينا :

– ماذا بك يا رازدولين ؟

– ما الخبر ؟

– أنا أسألك ماذا ؟

– لا شيء .

– لماذا انت اليوم لا تمسك باليد ، تضحك ... هل حدث شيء ؟

– لم يحدث شيئاً .

– هذا غير صحيح ، ولكن يمكنك ان لا تقول . فقط لا حاجة الى ذلك ...

ويصمت اندريه . ويمضيان في سيرهما ، وكأنما مثلما سارا من قبل . ولكن ليس كذلك : حدث انفصال لا يكاد يبين بين الشبحين في الارض الفضاء على الشاطئ .

– اسمعي – يقول اندريه ذلك ، ويتوقف ويمسك كتفيها – حسنا ، سأقول لك . ولكن لأي شخص آخر غيرك استطيع ان اقول ؟... انه شيء مهم يا نينا . اليوم صدر القرار : سيطير فورنتسوف وأنا .

– وتوليا ؟ – تسأل نينا في حيرة .

– توليا بديل فورنتسوف .

– كيف هذا ؟ باخروشين قال على أكثر الاحتمالات سيطير اغاركوف وفورنتسوف ...

– أنا نفسي لا اعرف كيف ... اردت كثيراً ... أنا سعيد جداً يا نينا ...

– رازدولين ... ستطير الى المريخ ؟ وكيف أنا ؟

– كيف انت ؟ ولكنني سأعود .

واحتضنته بقوة ، قلصت عينيها ، وضغطت رأسها على صدره .

– أنا حمقاء يا رازدولين ... نعم ، كل شيء صحيح ، كل شيء صحيح ... فانت ستعود ...

– اسمعي يا نينا – يقول اندريه في

همس سريع – حتى يوم أمس لم اعرف شيئاً ...
وبالأمس أرقت طويلا وظللت أفكر ... عندما
كنت صبياً عشت في غورزوف صيفاً ... أنا
أتذكر البحر والصخور والنباتات المائية ...
والقمر في الليل كبيراً جداً ... سنذهب هناك
يا نينا حين نعود ... أريد أن استيقظ مبكراً
جداً ، وأمسد شعرك وانت نائمة .. ثم نركض
الى البحر ... وستكونين ناعسة شعثاء ...
ثم سنشرب حليباً ، ونصمت ... وفي المساء
حين يطلع القمر نحتمي في ظل الاشجار الأسود ،
وساقبلك ، وأقول أرق الكلمات التي أعرفها ...
ولكن كل ذلك يجب ان يكون بعد المريخ ،
انت تفهمين ... فكرت بالأمس اذا لا اطير ،
فلن يكون ذلك في اغلب الظن ... انت
تفهمين ...

– سيكون ذلك ... سيكون ذلك
بالتأكيد ... أي يوم في الشهر اليوم ؟

– الثاني والعشرون من حزيران .

– عن قريب . سأنتظرك . أنت لا تعرف
كيف سأنتظرك يا رازدولين !

شبحان صغيران واقفان احدهما ملتصق بالآخر في الارض الفضاء على الشاطئ . سوى أن السيارات تروح وتجيء في شؤونها الآلية غير عابئة بالناس .

٢٦

وها قد جاء يوم طيرانهم الى المطار الكوني .

طاروا في ساعة متأخرة في المساء . درجت الطائرة طويلا على المنطلق ، ورأت نينا تتابع المصابيح الملونة البطيء عند حافة المدرج الاسمنتي . ثم توقفت الطائرة . وانطلقت المحركات ، واهتزت الطائرة مرتجفة من الانطلاق الوشيك . ووقفت لبضع ثوان أُخَر ، وكأنما كانت تستنشق نفسا قبيل أمر صعب توشك أن تمضي فيه . ثم ركضت أسرع فأسرع مرتجة على الفواصل بين البلاطات الاسمنتية . ثم شعرت نينا ان الطائرة كفّت عن الارتجاج : فقد طاروا .

في الطائرة زهاء عشرين شخصاً . جلست نينا مع زملائها ، ولكنها كانت في المقدمة وحيدة . وفكرت نينا : سيأتى بعد اسبوع ، وبالطبع ، سيكون مشغولا عني ... وفيما بعد ... ستة اشهر أخرى . ستة أشهر كاملة لا أراه ... لقد سألني : «هل ستنسينني ؟» فتى احمق ... يا ربي ... أي أحمق فتاي هذا ...»

ووراء نينا جلس مايفسكي غارقاً في مجلة يحل الكلمات المتقاطعة . والى جانبه شيرشوف في يديه كتاب انجليزي والقاموس على ركبتيه . نظر في القاموس ولكز يوري بكوعه .

– انظر الى كلمة «credit» انها تعني قرضا وشرفاً وثقة واحتراماً ونفوذاً . اليس هذا لطيفاً ؟

نظر اليه مايفسكي بعينين لا تريان . هذه النظرة تكون عادة في عيون الذين يبحثون عن شيء في جيوبهم تلمساً ، ولا يستطيعون العثور عليه .

– يا للشيطان ! جزيرة في بحر أيجه مكونة من خمسة حروف تنتهي بـ« وس » .

فكر سيرغي قليلاً ثم قال بيقين :

– كل الجزر هناك من خمسة حروف ، وتنتهي بـ« وس » رودوس ، ميلوس ، ساموس ، باروس ... الخ ...

– هل يوجد جزيرة اسمها « باروس » ؟

– يبدو ذلك ...

وفي الحال غاب يوري ، وأنكب على الكلمات المتقاطعة ، هامساً بشفتيه دون صوت .

والى جانبهما بعد الممر يجلس بوريس كودسنيك وفيكتور بويكو . دفع كودسنيك ظهر المقعد ، واغمض عينيه . واستغرق فيكتور في التفكير . وهو دائماً مستغرق في التفكير ينظر من الكوة . هناك ظلمة لا غير ، ولا ضوء .

– بوريس – يهمس فيكتور بخفوت – من هو شاعرك المفضل ؟

– بوشكين – يجيب كودسنيك دون أن يفتح عينيه – ألا يبدو لك هذا بدائياً ؟

– عجيب – يقول فيكتور برقة .

وفجأة يبدأ كودسنيك بالتلاوة بهدوء وبهمس تقريباً :

ترهقني رغبة جديدة عليّ .
أريد المجد لكي يهزّ اسمي
سمعك في كل ساعة ،
ولكي تكوني
محاطة بي ، ولكي يتحدث كل شيء حولك
عني
ولكي تصغي الى صوتي الصادق في الصمت ،
وتفهمي آخر صلاة لي ،
في الروضة ، في ظلام الليل ، في لحظة
الفراق .

– أتعرف ان بوشكين كتب هذا . بوشكين ! – وصمت واضاف – ولأجل هذا أنا أحبه : من أجل الصدق . الصدق أهم شيء في الشعر .

– وليس في الشعر وحده – قال فيكتور .

– نعم ، ليس في الشعر وحده .

– الكذب يتجمع في الانسان كالزئبق –

قال فيكتور وهو يتحول الى الكوة — والزئبق لن تستطيع ان تخرجه من الانسان أبداً ، ولن تعالجه ... وكذلك الكذب ... يمكن بالطبع تغطية الكذب بالكذب ... مثل اخفاء الزئبق في جسمك ، وتبتسم ... ولكن اذا كانت الجرعة كبيرة ، فانها تؤدي الى الموت ... نعم ، قولك صائب ، المهم الصدق ... ما هي الشيوعية ؟ اغلب الظن أنها القضاء على كل كذب .

فتح كودسنيك عينيه .

— هذا قليل ، يا فيكتور . في رأيي ، قال نابليون ان هناك قوتين قادرتين على تحريك الناس : المنفعة الشخصية والرعب .

والشيوعية عندي هي القضاء على هاتين القوتين . وبعد ذلك محو الكذب . الكذب هو اول نتاج للرعب . والدناءة ثاني نتاج ...

التفتت نينا وسألت :

— متى سنصل ؟

قال كودسنيك :

— في الساعة الرابعة صباحاً .

٢٧

الفجر يوشك أن يطلع . وكـل الاشيـاء في الغرفة تظهر من الظلمة بعد ان تبدأ بالتنور ، وكأنمـا من داخلهـا ، بنور رقيق محسوس قليلا . انه ليس نوراً ، بل تذكاراً عن النور . يأتي وقت نادر لا يكون في المساء عادة ؛ وقت الظلمة الشفافة . والنور قد نفذ اليها بشكل غير منظور ، ويحطـم ، ويذوب الظلمـة ...

النافذة مفتوحة على مصراعيهـا ، ونسمة خافتة تحرك قليلا الستارة الرقيقة التي يئن الحمام خلفها مطبطبـا على الافريز الحديدي . انه يوقوق بعاطفة كاذبة تشبه انين انسان يتظاهر بأن حالته سيئة حقاً .

فرونتسوف مستلق على ظهره في السرير واضعاً يداً وراء رأسه ، ومحتضناً بالأخرى زوجته . وفيرا دافنة انفهـا في رقبته بوضع مريح . وتقول فيرا :

— ستعود في كانون الأول . وسيكون الجو بارداً ، والثلج في كل مكان ...

— ... وسنخرج الى الغابة نتزحلق على السكي — يضيف نيقولاي فرونتسوف ذلك .

— في كل عام ننوي ذلك .

— اعطيك كلمة : في هذا العام سنخرج بالتأكيد ... سوى انني بحاجة الى شراء حذاء جديد ... اشتري لي حذاء جديداً ... ها ؟

— وهل سيكون لك وقت للتزحلق ؟

— ولم لا ؟

رفعت فيرا رأسها ، ونظرت الى فرونتسوف .

— مسألة لطيفة : يصل انسان من المريخ ، ويخرج للتزحلق على السكي !

— بالضبط . لماذا لا يحق للانسان القادم من المريخ ان يتزحلق على السكي ؟ — ونظر فرونتسوف الى فيرا بمؤخر عينه .

— انت يا كوليا أسذج انسان في العالم ، ولكنني أحبك — تقول فيرا هامسة ومرة أخرى تلتصق بنيقولاي في راحة .

ويستلقيان بهدوء مستمعين الى وقوقة الحمام الموجعة . ويقول نيقولاي :

— أتعرفين ماذا نسينا ان نفعل ؟

– ماذا ؟

– عندنا مسجل ، وكان علينا أن نسجل اصوات الطيور . وقد سمعت مثل هـذه الاسطوانة ، غناء طيور مختلفة . كان يجب تسجيلها على شريط واخذها معي ...

– تُسمعها لأهل المريخ ؟ – تسأل فيرا ناعسة .

– لماذا لا ؟ لأهل المريخ أيضا ... أنا أفكر دائماً ... في الفضاء الكوني سيكون الطيران صعبا دائماً ... لأن الانسان لا يستطيع ان يأخذ معه كل شيء على اية سفينة كانت : الريح ، والمطر ، والطير ، والنهر ، والناس الذين يسيرون في الشارع ... يمكن ان تطير في الفضاء الكوني سفينة كبيرة جداً . ولكن الانسان بحاجة الى الارض كلها . اتفهمين ؟

– أهوه .

– هل انت نائمة ؟

– لا ...

– ها نحن نطير الى المريخ ، وبعدنا يطير آخرون ، عشرات ، ومئات الصواريخ ...

وسيبنون هناك في البداية محطة مثلما هي في القمر ، ثم تنمو مدن كاملة . وسيعيش الناس ، وينجبون اطفالا – المريخيين الاوائل الحقيقيين ... تصوري انهم سيكتبون أمام «محل الولادة» : المريخ . ولن يدهش ذلك احداً . ومع ذلك فلن يكون المريخ وطناً لهم . لن يكون على الأقل لانه لا يجوز السير هناك على الندى في قدمين حافيتين ... هل انت نائمة ؟

– لا ...

– حسنا ، نامي ... طلع الفجر ...

ويستلقيان يلتصق احدهما بالآخر ، وجهاهما يتنوران قليلا أيضا .

وحين غفا فرونتسوف فكر أن رومان كوزميتش سيلاحظ غدا حتما انه لم ينم في هذه الليلة . ولكنها آخر ليلة في البيت ، ويجب ان يفهم .

٢٨

قلقت أم رازدولين – وهي عجوز جافة نظيفة الثياب ترتدي فستانا من الجيت الداكن ،

ومئزراً مرقعاً – يبدو أنه المفضل عندها – ولكنها لم ترد اظهار قلقها .

هما جالسان في المطبخ . تناول أندريه قليلا من الطعام قبيل السفر ، وشرب شاياً . وكان مزرر السترة كامل الهندام ليس على عادته في البيت ، بالرغم من أنه يجلس هادئاً ، وأمه ترى أنه سينهض في اية لحظة . ينهض وينصرف . بالأمس قال لها : «ماما ، أنا مسافر» . «لمدة طويلة ؟» سألت هي رغم أنها كانت تعرف ان ذلك ليس بالشيء الرئيسي . بل الشيء الرئيسي أنه مسافر ، وأن ساعة اختباره واختبارها قد جاءت . ولكنها سألت : «لمدة طويلة ؟» فأجاب : «نعم ، لستة اشهر» .

وببداهة غير اعتيادية موهوبة للامهات وحدهن حدست ما ينتظر ابنها . حدست منذ وقت طويل . ثم رأت عنده صورة ديما الفوتوغرافية ، ... الشخص الذي طار الى القمر ، وقد كتب عليها بحبر أسود : «اندريوشا ! سأغبطك ايضا ! لان طريقك

ابعد واصعب حتماً ...» قرأت هذه الكلمات وفهمت أنها لم تخطئ الحدس ... وتقول هي :

– خبزت لك فطائر الجبنة التي تحبها .

– شكرا .

– هل تسافر بالقطار ام بالطائرة ؟

– بالطائرة .

– كل في الطائرة اذن ... اكتب لي ، يا اندريوشا ، ولو بطاقة بريد ... لتخبرني أكل شيء على ما يرام .

وابتسم ونهض .

– كل شيء سيكون على ما يرام يا ماما ... وسأكتب لك بطاقة بريد .

تقدمت منه عجوزاً ضئيلة ، وطوقها من كتفيها .

– لا تحزني ، يا ماما ...

– لا بأس – قالت هي ، وعدّلت طرف المئزر باصابعها ، رامشة ، مبتسمة ، مبتلعة الدموع . ثم تمالكت نفسها ، وسألت :– يا اندريوشا ، يا بنيّ ، هل ستطير الى القمر ؟ لن اقول لأحد ... الى القمر ؟

— لا ، يا ماما ، ليس الى القمر ، بل أبعد .

— أوه ، يا الهي .

— حان وقت الانصراف .

— لنجلس قبيل السفر .

وجلسا الى المائدة . نظر اليهـا اندريـه وفكر : «قبل مدة قصيرة سافـرت خـارج المدينة ، الى مخيم الطلائع ... وقد خبزت لي فطائر الجبنة ، وجلسنا أيضا قبيل السفر ... على بعد ٥٥ كيلومتراً خارج المدينـة . أمـا الآن فانـا مسافر الى المريخ . على بعـد ٥٥ مليون كيلومتر خارج الارض ...»

ونهض اولا ، وانحنى ، وقبلها بقوة . مرة بعد اخرى .

وصحبته حتى باب الشقـة . ووقفـت في الفسحة تراقبـه وهو ينزل الدرج . والتفـت اندريه :

— اذهبي يا ماما .

— كن حذراً أكثر هناك يا اندريوشا ... اعتن بنفسك .

– حسناً ، اذهبي .

الا انها وقفت وقتا طويلا بعد ذلك وقد غاب عن بصرها ، ولكنهـا كانت تسمـع وقع خطواته حتى صفق باب مدخل البيت في الأسفل رناناً كالطلقة .

٢٩

كانت الشمس متدلية جامدة في السمـاء العديمة اللون فوق السهب . والجـو حـار . والصاروخ واقف في ساحة الاطلاق ، ومن معدن الصاروخ المحمّى ، ومن برج التركيب المحيط به كصقالة البناء ترتفع هالة سرابية من الهواء الحار محطمة خط سقوف السقائـف . وعلى مبعدة من السقائف ، وعلى مسافة أقرب الى ساحة الاطلاق ، وقفت في صف مستقيم سيارات ضخمة ، وصهاريج ، وحافلات خاصة للأجهزة ، والمحطـات الفرعيـة ، والمكابس ، وبدّالات الاتصال ، وأشيـاء أخرى غير معروفـة لا استغناء عنها . ومن السيارات تمتد أسلاك الى برج التركيب . والناس على طوابقـه

المختلفة ؛ في الأعلى حيث شدت السفينة «المريخ» للسفر ما بين الكواكب تحت طاقية واقية ، وفي الاسفل عند أفواه محركات المرحلة الأولى . هنا في ساحة الاطلاق ليسوا كثيرين ، زهاء عشرين رجلا . وجميعهم مشغولون بشيء واحد مهم جدا : بالفحص الأخير على الآلة قبل الاطلاق .

وقف فيكتور بويكو ، وسيرغي شيرشوف عند احدى الفتحات في جسم الصاروخ نفسه .

— وعدنا باخروشين بان ننهي كل شيء في نحو الساعة الثانية ، والآن الساعة الثالثة — يقول فيكتور وينظر الى الساعة .

الجو حار ، وسيرغي ذو مزاج وعق . فيجيب في تذمر :

— الحمقى وحدهم يطلقون الوعود . أما الاذكياء فلا يعدون ، بل يفعلون ... ونينا في وضع صعب ...

— وما علاقة نينا هنا ؟

— احقاً انني اقول ان «لها علاقة» ؟

شيء عندهم لا يسير على مـا يرام – ويرفـع سيرغي رأسه الى فوق .

كان سيرغي شيرشوف من اولئك النـاس الذين كلما يوفقون أكثر يعملون أحسن . ان الاخفاقـات حمست كودسنيك ، وأثـارت في مايفسكـي الحيرة ، وعرضـت شيرشوف الى الجزع ، وجردته من الثقة بالنفس . وادرك باخروشين ذلك ، ولم ينتقـد سيرغـي قط ، أدرك ان ذلك سيكون اسوأ فقط . شأن كل انسـان متوجس كان شيرشوف يتأثـر بشكل مرضي في كل مـا يقول الناس عنـه . وحتى أقل مدح يلقى عرضاً من اي كان – س ت او ميكانيكي في حجرة الاختبـار – كان يضاعـف قوته ، و«يفني نفسه» . فكان يعتريه تشبث في العمل متكالب ، مغيظ ، مجنون ، فطن ، وتصبح حركاته دقيقة لا شائبة فيها . كمـا كان يفكر بدقة وتشبث أيضا . وقد عمل على هذا النحو بالذات يوم أمس بعـد أن جـاء باخروشين ، ونظر في ملاحظاته ، وقال بمرح : «يا سيريوجا ، انت شاطر !» وعمل اليـوم

بهذا الشكل أيضا حتى تبين ان في المرحلة الثانية شيئاً يتعثر . وكان شيرشوف لا يعرف عندئذ ما هو بالضبط ، الا ان ذلك أثار غضبه فعلا ، وعرقل عمله . وثارت اعصابه ، وأخذ ينظر الى الساعة كثيراً ، وكان يرهف سمعه للاصوات المترددة في الأعلى .

في الأعلى ، بوريس كودسنيك ويوري مايفسكي . وأمامهما صناديق الأجهزة الأنيقة تتغامز في مرح بعيونها المتعددة الالوان .

— لنجرب مرة أخرى يا نينا — يقول بوريس في السماعة — انتباه !

يضغط كودسنيك على زر . ويخرج صوت نينا من مكبرة الصوت البلاستيكية :

— خمسة وثلاثون من المائة .

هي جالسة في قمرة سفينة الفضاء على مقعد رازدولين . لقد تغيّرت اشياء كثيرة هنا منذ ان رأيناها اول مرة . والشيء الرئيسي ان بقي مقعدان فقط ، وصار المكان اضيق قليلا . والجدران البلاستيكية الناعمة لم تعد بيضاء

بل بلون أخضر رقيق . وبقيت الاجهزة نفسها .
والداخل منير تماما ، فان الكوى تتوهج من
أشعة الشمس ، مثل الاضواء الكشافة . ويرتعش
انعكاس الشمس على ازرار لوحة التوجيه .
وتدير نينا مفصلا متحركا شدّت عليه عند
احدى الكوى آلة تصوير سينمائية ، ويهدأ
انعكاس الشمس ، ويكف عن الارتعاش .

صوت كودسنيك :

– لنعيد التجربة ...

– هيا – تقول نينا ، وتنظر في شاشة
جهاز صغير شبيه بدليل ذبذبة التيار
الكهربائي .

– انتباه ! – يقول صوت كودسنيك .

وأرتفع على شكل قوس على الشاشة
خط أخضر فاتح لامع ، وساح ببطء الى
جانب .

– خمسة وثلاثون من المائة ... يمكن
أن يقال ستة وثلاثون – تقول نينا .

– حسنا ... سأصعد الآن – يرد صوت
كودسنيك .

٣٠

مساء . والنور مضاء في قمرة الملاحين الكونيين . وعلى احد المقعدين تجلس نينا ، وعلى الآخر بوريس .

صوت مايفسكي :

— انتباه !

ومرة أخرى قفز الخط اللامع بسرعة الأفعى ، وتقوس ، وساح ...

كودسنيك ونينا صامتان .

— ماذا ؟ — يسأل صوت مايفسكي .

ينزع كودسنيك بصره من الشاشة الصغيرة ، ويقول في مكبر الصوت :

— يورا ، افحص سريعاً جميع التماسات والمقاومات على الصمامات ٢—١٢ ، ٢—١٣ ، ٢—١٧ ، ٢—١٨ . عاين ، وتلمس باصبعك جميع الأسلاك نحو هذه الصمامات مبتدئاً بالصمامات الرئيسية المقفلة للمرحلة الأولى .

— ولكن يغوروف فحص بالفعل — يقول صوت مايفسكي من مكبرة الصوت .

— افحص مرة أخرى ، ولكن بسرعة .

وسيفعل يوري مايفسكي كل شيء بدقة . يفحص التماســات ، وسيفحص المقاومــات ، وسيتلمس الاسلاك . اغلب الظن أنه بدأ بالقيام بذلك . ان يوري مايفسكي يعرف أنه لا يكتشف هناك شيئاً . وكودسنيك يعرف ذلك ايضا . فقد نظر يغوروف ولم يجد شيئاً . وهمــا لن يجدا شيئاً . ولكن يوري سيفحص كل شيء . «للحيطة !» ان يوري بالذات سيفحص احسن من الجميع بتدقيق وعلى مهل . له رأس صاف بارد . ورأسه حتى الآن بارد وصاف . وهــو يفهم انه هنا الآن ، في ساحة الاطلاق ، يحل معادلة فيها كثير من المجهولات . وهو يحل معادلة بعد أخرى ، ويميط عن المجهــولات اللثــام . واحدة بعد أخرى . وهو ، اي كودسنيك ، يعرف أن يوري لا يحتاج الى ان يشرح له شيئــاً ، فان كل شيء له واضح . كل شيء واضح وضوحه عنــده . وهــو لا يفعل الآن أحسن مما يفعل يوري . ان وجود يوري لشيء رائع !

— كيف هناك ؟ — يسأل كودسنيك .

وتصمت مكبرة الصوت .

وينحي كودسنيك المكروفون ، ويلتفت الى نينا .

– هل تريدين حلوى ؟

– أريد .

ويقدم بوريس علبة مفتوحة . وتأخذ نينا ، ولكن لا تأكل .

– ما الخبر يا بوريس ؟ لماذا هذا التأخر ؟

يصمت بوريس . ثم يقول :

– اذهبي للنوم . سنقوم بالأمر . انت بحاجة الى الراحة .

– انت تعرف انني لا اذهب – تقول نينا ببساطة .

ويصمت بوريس ثانية ، ثم يقول فجأة ، وكأنما نفذ صبره :

– في الآلة الهائلة الممتازة يوجد ميكروب يوسخ !! ونحن ، كالبُله ، لا نعرف أن نكتشفه !!

– لا تشتم – تقول نينا بتعب – أتذكر نصيحة ايغور : «لا تخبر أحداً باحزانك :

ذلك يؤلم الاصدقاء ، ويسر الاعداء ...»

ويبتسم بوريس ، ويسحب المكروفون اليه .

– كيف الامر ؟

– كل شيء على ما يرام – يجيب صوت مايفسكي من بعيد .

– واذا يكون كل شيء على ما يرام أيضا فيما بعد فالاحسن لي أن انزل من هنا بلا مصعد ، وارمي بنفسي – يقول كودسنيك مبتسماً .

– حين تنوي قل لي . سأنادي باخروشين . ليعرف على أي شيء قادر مهندسنا السوفييتي البسيط ! – وصوت مايفسكي متغير تماماً . صوت مرح .

٣١

ليلاً . وساحة الاطلاق مضاءة في سطوع بالانوار الكشافة .

باخروشين وكودسنيك في الاسفل ، عند قدم الصاروخ . ويقول كودسنيك :

– الآن سنرى مايفسكي وأنا ، هل التيار موصول على جسم الصاروخ في القسم التاسع . ويفحص بويكو وشيرشوف العازل في المرحلة الأولى . فإذا كل شيء هناك على ما يرام نخلع التوصيلة على مثبت الذبذبات ، ونرى ، فلربما هي التي لا تعمل جيداً . وإذا كان كل شيء على ما يرام لا نعرف بماذا نفكر أيضاً ...

– حسناً ، لنفعل ذلك – يقول باخروشين

– اين نينا ؟

– غفت ... هناك – وأشار كودسنيك باصبعه الى السماء – هذه الليلة الثانية ، يا فيكتور بوريسوفتش .

– حسناً ، تجب معرفة السبب ، تجب معرفة السبب ! – يقول باخروشين ذلك ، ولكن لا لبوريس بل لنفسه ...

غرفة صغيرة . منضدة . سرير . ثلاثة مقاعد . وباخروشين وراء المنضدة منكب على تصميم كهربائي هائل .

وفي طرف التصميم خاتم ازرق : «سرياً للغاية» .

ويتفحص باخروشين التصميم ، ويسجل شيئاً بعناية في الدفتر ، بنقاط : ١) ، ٢) ، ٣) ... وفجأة يتجمد جمود الفرح ، مثل صياد وقع بصره على حيوان . ولكنه يلقي قلمه في الحال . ظهر ان الحيوان قرمة متعفنة .

ويتناول القلم ثانية ، ويعاين التصميم ثانية ...

٣٢

الصباح ينتشر في السهب . ساحة الاطلاق . والناس على مختلف طوابق برج التركيب الهائل . عشرون شخصاً . وكل شيء كما كان ، وكأنما لم يمر نهار وليلة .

– انتباه ! – يقول كودسنيك في المكروفون .

– ستة وثلاثون من المائة – يجيب صوت نينا .

٣٣

كان كبير المصممين جهماً ، وليس منصفاً دائماً . إلا ان باخروشين كان يفهم ، ان من الصعب ، اذا لم يكن من المستحيل ان يتصرف تصرفاً آخر . وكان يعرف الكبير منذ زمن بعيد . قبل ان يصبح كبيراً بزمن طويل . في فترة ما بدآ العمل سوية مهندسين شابين للطيران . ثم افترق طريقاهما لسنين عديدة . وكانت تلك سنين صعبة جداً لستيبان . فقد تشاجر من اجل الصاروخ ، تشاجر مع الرئاسة ، ومع زملائه ، مع الموظفين ذوي المناصب العالية في مفوضيات الشعب ، تشاجر مع جنرالات المدفعية الذين لم يكونوا يريدون الاستماع الى شيء ما عدا الاسلحة ذات المواسير . وذات مرة حكى كيف صاح احدهم في وجهه : «اذهب الى مصنع للعب ! مكانك هناك ! فلسنا بحاجة الى العاب نارية !»

والآن ، حين انتصر ستيبان ، غالباً ما كان باخروشين يفكر بذلك الايمان الهائل ،

والثبات ، والشجاعة ، والتفاؤل العظيم للشيوعي ، تلك الصفات التي كانت ضرورية للنصر . فلم يكن بسيطاً ابداً ، ولا سهلاً ان يُجمع كل ما كان الآن لكبير المصممين : مصانع تجريبية ، ومكاتب للتصميم ، وساحات اطلاق ، ومطارات للصواريخ ، ونجوم البطولة ، ومجد غريب لا يعرف الناس اسم صاحبه . والآن هو **الكبير** ، وهو يقود جيشاً هائلاً في حالة هجوم موصول بجهد منذ سنين عديدة . وباخروشين يعرف أن ستيبان مقتدر على القيادة ، ومقتدر على ان يحمل الناس على العمل . اناس متفانون في القضية لم يشعروا بأنهم «محملون» . ولكن الذين كانوا يشعرون بذلك لم يكونوا قليلين . يشعرون جيداً جداً ...

واحترم باخروشين ستيبان على استقامته ، ومبدئيته . لم «يراوغ» الرئيس في وقت ما أبداً ، بل يبدي رأيه بصراحة . وكان نادراً ما يشتم ، واذا شتم فكأنما هو مُكره ، ولكنه كان قادراً ان يجد بسرعة كبيرة في لحظة الغضب ألذع وأسدد كلمة . وكان الرجل

يرتعش من هذه الكلمات ، وكأنما نثر عليه ماء فائر . ولم يكن ينسى ذلك سريعاً . فلربما لم يكن يشتم ، لأن أية شتيمة مجردة ، وسرعان ما تُنسى . وكان يريد ان لا ينسى الناس مقترفاتهم ، وأن لا ينسوا ان لا يكرروها .

ولم يخف الكبير من ان يثق بالناس ، لانه كان يعرف ان الناس كانوا يتمسكون بثقته . ولا يجوز القول انه لم يكن يغتفر الاخطاء ، كما لا يجوز القول انه كان يغتفرها . كانت العقوبة ، مهما كان ذلك غريباً ، لا وفق هذه الهفوة او تلك ، بل حسب الاسباب التي دعت اليها . وكان باخروشين يعرف معرفة متينة ان الكبير الآن ، في هذه اللحظات الصعبة ، لا يقلقه ما حدث في الصاروخ ، بقدر ما يقلقه السبب فيما حدث .

إن الناس النزيهين وحدهم كانوا يستطيعون العمل معه . كان يتشمم «المتصيدين» (هكذا كان يسمي أكره صنف من الناس عنده) مثلما يتشمم القط الفئران . وبالمقابل كان «المتصيدون» يتشممونه مثلما يتشمم الفئران

القـط . وقــد تعــود الكبير على ان يتحمل مسؤولية عن اقوالــه وافعاله ، وكان يطلب من الآخرين مثل هذه المسؤولية . وكان أكثر ما يكون تقديراً للناس العارفين عملهم بالدقة . وفي نفس الوقت لم يكن يحب الذين كانوا يحاولون اظهار اطلاعهم امامه : فغالباً ما كانت تفاصيل القضية لا تهمــه . وبالاحرى إنه لم يكن يسمح لنفسه الاهتمام بالتفاصيل . وقد اجاد احد من الناس ذات مرة حين قــال أن الكبير يعمل على «نظام نعم – لا» .

كان طيبــاً . نعــم ، ان باخروشين يعرف أنه كان انساناً طيباً ، ولكنه لم يكن قط ناعماً . لم يرج قط شيئــاً «بنعومة» ، بل يطالــب . كان يطالب ليس فقط لانــه كان يملــك حق المطالبة ، بل كان يعتبر الرجــاء درجــة من العلاقات الانسانية غير مسموح بها في عمله .

والآن ، حين سار باخروشين في وهج الشمس نحو بناية الهيئة البيضــاء تصور بوضــوح الحديث المقبل مع الكبير . سوف لا يصرخ . فإنه ، على العموم ، لا يصرخ ابداً في مطــار

الصواريخ . فهو ، كرجل ذكي ، يفهم انه لن يحصل على شيء بالصراخ . فالحديد هو الحديد : ان المادة ليست كائناً حياً . وحث الناس له حد معين ، وبعده يتحول كل شيء الى مضرة ؛ تثور اعصاب الناس ، وينتصر الحديد . وكل ما كان يمكن ان يُفعل فعله باخروشين . والكبير يعرف ذلك . سيكون الحديث قصيراً «على نظام نعم – لا » .

٣٤

مكتب الكبير في مطار الصواريخ . وهو شبيه جداً بمكتبه الصغير في المدينة . نفس التلفون الابيض المطبوع عليه شعار الاتحاد السوفييتي على قرص . ونفس الكرة القمرية . وآلة التهوية تدور سريعاً بأذنيها المطاطيتين ، وتدير رأسها المدبب يميناً ويساراً .

الكبير في قميص خفيف من الحرير ، وبنطلون خفيف مجعد ، ونعلين صيفيين جالس وكأنما في بيت صيفي بعيد عن هنا ، وراء المنضدة ، منكب

على الاوراق ، مرتشف ببطء ماء معدنياً مثلجاً من قدح مغشًى بالبخـار . وحين يدخل باخروشين ينحي الكبير القدح ، وينهض قليلاً للمصافحة .

– اجلس ، يـا فيكتور بوريسوفتـش .

جلس باخِروشين .

– ما الجديد ؟

– لا شيء .

– اذن ، تأخير الأمر بتشغيل المرحلة الثانية ثلاثة اعشار الثانية . أليس كذلك ؟

– أكثر . خمسة وثلاثون ، ستة وثلاثون من المائة .

– هكذا ... قد يكون هنـاك تفريـغ في جسم الصاروخ ؟

– ممكن .

– الفحص ممكن ؟

– ممكن . ولكن من الصعب فحـص كـل شيء .

– اعرف انه صعب .

– الناس يشتغلون يومين متتاليين ... وبالأحرى ثماني واربعين ساعة ...

– نعم ، انا اعرف ... هل تريد ماء معدنياً ؟ بارد ...

– شكراً ، لا أريد .

واستدار الكبير ، وصمت قليلاً . ثم نظر الى باخروشين من طرف عينه بشكل مريب ، وقال :

– عندي اقتراح : لنغير الآلة .

– ليس عندنا وقت .

– يجب ان يكون الوقت . بقي على موعد الاطلاق اربعون ساعة تقريباً . سيساعدكم موسكفين وياخونتوف . ويأخذ يميليانوف على عاتقه كل النقل . يقول إنه لا يؤخر .

يصمت باخروشين . انه يعرف ان تغيير الآلة ، تفكيك صاروخ ، وتركيب صاروخ آخر في مدة كهذه انما هوعمل بطولي تقريباً . ولماذا «تقريباً» . إنه عمل بطولي . والناس قد تعبوا كثيراً .

– على أية حال سنعرف من أين تأتي هذه الخمسة والثلاثون من المائة – يقول الكبير فجأة في غيظ – سأخرج محاضر جميع التجارب . واقدم المذنب للمحاكمة .

– قد يكون الناس غير مذنبين .

– لذا من الضرورة جداً معرفة السبب !

صمتا قليلاً .

– على هذا الصاروخ – وهزّ الكبير رأسه نحو النافذة – يمكن تضييع اسبوع آخر ... لنغيّر يا فيكتور بوريسوفتش .

ويدرك باخروشين ادراكاً تاماً ان الكبير على حق . وذلك لا يغير الوضع بالطبع ، ولكن الكبير على حق . ويقول :

– واضح ، يا ستيبان تروفيموفتش .

وينهض .

– الآن سأشرب ماءك المعدني – يقول ذلك بابتسامته الفاتنة بشكل مدهش ، يقول ذلك ببساطة كبيرة لا يقدر عليها إلا باخروشين وحده .

تتفجر الفقاقيع الصغيرة في القدح ، ويهس الماء المعدني بعذوبة .

ويشرب باخروشين بجرعات صغيرة ، لانه بارد على الاسنان .

٣٥

ليلة ظلماء ذات نجوم . آخر ليلة قبيل الانطلاق .

على مصطبة عند البيت الصغير الابيض المحاط باشجار الحور الرقيقة يجلس رومان كوزميتش كبير الاطباء «الفضائيين» . وانت لا تلاحظه رأساً . إلا حين يتوهج رماد السيكارة بلون أحمر ، عندئذ فقط ترى شخصاً جالساً على مصطبة . هدوء . والجنادب تطن ويُسمع صوت سيارة تسير في الطريق . قادمة الى هنا . ركض ضوء المصباحين الحليبي بين أعمدة الطريق وتوقفت السيارة على بعد ثلاثين متراً تقريباً من البيت . وانطفأ المصباحان ، وازداد الظلام اكثر مما كان . وازداد طنين الجنادب ،

وصفق باب . وتعثر شبح قائــم ، وتقدم من الطريق نحو ضوء السيكارة .

– خذ حذرك . هناك آجر – يقول رومان كوزميتش بهمس متآمر – مَنْ القادم ؟

– هذا أنا – يجيب الشبح .

– ستيبان تروفيموفتش ؟ مساء الخير !

– مرحباً ، يا رومان كوزميتش !

ويجلــس كبير المصممين على المصطبــة بالقرب من رومان كوزميتش . ويصمتان . ويفهم الطبيب لماذا جاء الكبير ، بينما يعرف الكبير ان الطبيب يفهم . وها هما صامتــان . هدوء . والجنادب تطن . ولكــن الصمت ، من جــراء ذلك ، يصبح اكثر عمقــاً . ويســأل الدكتور :

– هل تريد سيكارة ؟

– شكراً ، لا أريد ... هل هم نائمون ؟

– نائمون ، كالملائكة .

– فتيان مدهشون ...

– فتيان طبيعيون معافون .

– لا ، كيف تقول – يحتــج ستيبــان

تروفيموفتش بلطف ، ولكن باقتناع – انهم فتيان مدهشون ، مدهشون بشكل غير اعتيادي !

– انت أب تقدمي – ولا تُرى ابتسامة الطبيب في الظلمة ، ولكن من الممكن ان يفهم من صوته انه يبتسم – تشيخوف هو القائل ، كما يبدو لي ، ان كل ما لا يقدر عليه الشيوخ ولا يريدون عمله يعتبر مذموماً . لطيف ، ها ؟ انا وانت لا نستطيع الطيران الى المريخ ، ولكننا لا نعتبره مذموماً . يعني انا ايضاً اب تقدمي .

– لو كان عليك ان تطير غداً ، فهل تستطيع النوم اليوم ؟ – سأل ستيبان تروفيموفتش في تفكير .

– أظن انني سأنام .

– اما أنا ، فاغلب الظنّ لا انام .

– قل لي ، يا ستيبان تروفيموفتش ، ولكن بجد تام : ألم ترغب قط في ان تطير بنفسك ؟

لم يجب كبير المصممين رأساً . توهجت السيكارة واضاءت شفتي الطبيب ومنخريه ،

ثم انطفأت ثانية ، وكأنما سحب شخص مصباحا أحمر صغيراً .

– رغبت ... طوال حياتي رغبت ...

– قال ستيبان تروفيموفتش – انا ذاهب ، وإلا فسنوقظهم بحديثنا ...

وفطن الطبيب الى اليد الممتدة اليــه في الظلمة .

– نعم ، نَمْ . الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

تعثّر ستيبان تروفيموفتش مرة او مرتين في الآجر غير المرئي ، حتى وصل الى السيارة . وسمع الطبيب انصفاق البــاب ، وقول الكبير للسائق :

– الى ساحة الاطلاق .

٣٦

ساحة الاطلاق تبدو في الليل منيرة من بعيد مثل بلورة جبارة سحرية رسمت حدودها المثالية خطوط الانوار الكشافــة البيضــاء .

والصاروخ المختفي في شبكة برج التركيب يلمع في اشعتها . انه صاروخ آخر . ولكن من المستحيل طبعاً تمييزه بالعين . والناس حوله على الطوابق المختلفة للبرج . الرجال العشرون انفسهم لا اكثر . لمجرد ان الحاجة لا تقتضي اكثر ، فان ذلك لا يؤدي إلا للاعاقة . والآن يتوقف كل شيء على هؤلاء العشرين .

يقف الكبير في الظل الأسود لسيارة صهريجية هائلة ، وينظر الى الناس وهم يعملون عند الصاروخ . ويعجبه عملهم ، لا هوس ، ولا صياح ، ولا ضوضاء ، ولا كل ما يكرهه من الحماس الكاذب الذي لا يشبه قط الحماس الحقيقي لانه لا ينبعث من الايحاء ، بل من الاستعجال العصبي ، والرعب . ان مثل هذا الحماس الطارئ لا ينتج في آخر المطاف إلا تبديداً (ذلك ما اكدته الحياة اكثر من مرة) . كان هنا عمل منسق ذو ايقاع داخلي دقيق .

ويظل الكبير واقفاً وقتاً طويلاً غير مظهر وجوده ، لانه بالضبط يخاف تشويش هذا الايقاع . الناس انفسهم يعرفون ماذا ينبغي

ان يفعلوه ، ويفعلونه . وهو الآن مراقب ، قائد حربي في ساحة المعركة ، سارت افواجه شاهرة حرابها . وربما لو وقف اكثر قليلاً ، لغادر دون ان يلاخطه أحد لو لم يصطدم به عامل التركيب الشاب وهو يدفع عربة يدوية عليها وعاءان للغاز المضغوط .

— أوه ... لعنة على أمك — قال الشاب بتكدر حزين ودون حقد ، وقطع كلامه حين عرف الكبير — اعذرني يا ستيبان تروفيموفتش ، لم ادقق النظر ...

«الآن يجب ان انصرف بحيث يعرف الجميع بذلك» — فكر ستيبان تروفيموفتش وقال له :

— ادع لي كودسنيك .

أندفع الشاب الى فسحة المصعد بخفة طائر سعيداً بخلاصه بسهولة تامة من موقف دقيق جداً .

بعد دقيقة وقف كودسنيك امام الكبير في قميص مربع ناحل قذر ، مهمل الهندام بشكل فاضح . فكر بوريس كودسنيك : «لماذا

يدعوني ؟ لا شيء يدعو الى اللوم ، والمدح ليس في اوانه . ثم انهم لا يدعون للمدح . يعني إما ان الكبير يريد ان يغير شيئاً (وهذا فظيع للغاية ، والاحسن ان يشتم) أو ليعرف كيف تسير الأمور » .

— ماذا بقي من الفحص ؟ — سأل الكبير دون ان ينظر الى كودسنيك .

— قنوات الجيروسكوب العام ، جهاز الاشارة ، فصل المراحل في القمرة ، وتوصيلة تغيير الحرارة ... وماعدا ذلك صغائر اخرى ...

— أنا لا اعرف صغائر في هذه الآلة — قاطعه الكبير .

صمت بوريس .

— يجب ان تنتهوا من كل شيء حتى الساعة السادسة صباحاً — ونظر الى الساعة — الآن الساعة الثانية والدقيقة الواحدة والاربعون .

— سنحاول ان ننتهي ، يا ستيبان تروفيموفتش ...

– يجب ان تنتهوا .

– سننتهي .

– حسناً ، سأكون في مكتبي . إذا اقتضت الحاجة استدعني حالاً .

عند السيارة التفت الرئيس ورأى كيف كانت قمرة المصعد تصعد بكودسنيك ببطء الى فوق ، نحو رأس الصاروخ . وفجأة أحس بسكينة واثقة لاول مرة منذ ثلاثة ايام ، حين بدأت كل هذه الارجوحة الفريدة مع تأخير الامر بتشغيل المرحلة الثانية . والآن عرف ، بعد حديثه مع كودسنيك ، ان كل شيء سيكون على ما يرام . ومن هذه الثقة احس ستيبان تروفيموفتش بالضعف رأساً . وفكر وهو جالس في السيارة : «يجب الاستلقاء ، ولو لمدة ساعتين ، ما العمل مع هذا الشاب ، مع كودسنيك ؟ انه سيفعل ، سيفعل ! يستحق نيشاناً . سأكتب انا بنفسي اسمه في قائمة المستحقين بالنياشين ، إذا لا يخطر على بال باخروشين ...»

وحين تحركت السيارة ، التفت مرة أخرى الى البلورة الساطعة لساحة الاطلاق ، التي كانت تختفي في داخلها كل حياته : الصاروخ والناس الذين آمن بهم ، وأحبهم .

٣٧

في الساعة السابعة صباحا تقدم من ساحة الاطلاق باص صغير نزل منه الملاحون الكونيون ، أربعة اشخاص في بدلات برتقالية بطيئو الحركات كالغواصين . اذا التفتوا لا يديرون رؤوسهم فقط بل كل اجسامهم دفعة واحدة . فرونتسوف هادئ برصانة ، ورازدولين ، بالعكس ، يبتسم حتى في شيء من الارتباك . ووراءهما بديلاهما : اغاركوف وكيسيلف . تنحيا جانباً عارفين انهما هنا «للقيافة» و«حسب التقاليد» ؛ فمنذ عام ١٩٦١ ذاته ، منذ تحليق غاغارين لم يصادف ان طار بديل .

في ساحة الاطلاق جماعتان من الناس . في الأولى الذين عملوا في الآلة ، وفي الثانية المودعون رسمياً . وهم قليلون : رئيس لجنة

الدولة ، وهو رجل بدين رصين يرتدي بدلة فاتحة اللون عالية الثمن غير حسنة التفصيل ، وكبير المصممين (لم يغير ملابسه فكان كالسابق في لباس الاستراحة الصيفية) والنظري الصموت المقطب ، وخمسة او ستة اشخاص آخرين رؤساء اقسام وخدمات اساسية . وقفوا يتحدثون فيما بينهم بهدوء بينما تقدم الملاحان الكونيان لتوديع الجماعة الأولى .

صافح شاب ، نفس الشاب الذي اصطدم بالكبير ليلاً ، فرونتسوف من كوعه بدلاً من يده خوفاً ان يلطخه وهو الملطخ بالزيت كلياً ، ويغضب فرونتسوف ويصافحه .

– هل ستحلق قبيل زفافي ؟ – يسأل رازدولين مايفسكي .

– نحن لا نعطيك نينا . هل فهمت ؟ مع السلامة . . .

ويتعانقان .

ويقول كودسنيك لفرونتسوف :

– عندي رجاء يا كوليا . إجلب معك حجارة ، صغيرة . ليست لي بل لايغور .

كنت عنده قبل سفري الى هنــا . قــال لي : «إذا لا يجلب ، فساضع في سفينته في المرة القادمة قنبلة بلاستيكية» .

ويبتسم فرونتسوف .

– اجلب حتماً . سلّم عليه ... ماذا بعينيك ؟ . .

– لا شيء ، مجرد تعب ...

– شكراً يا بوركا – ويعانقه فرونتسوف ، ويقبله – شكراً على كل شيء .

– دع عنك ... حسناً ، مع السلامة ...

ويعانق فيكتور بويكو رازدولين في غير مهارة .

ويسأل اندريه :

– ماذا انقل لأهل المريخ ؟

– لا شيء خصوصي – يجيب فيكتور بجد تام – مجرد تحيات ...

ويقول شيرشوف لفرونتسوف :

– عسى ان تطيروا بسرعة يــا شياطين . لو كنت تعرف كم ضجرنا منكم ...

ويقبل احدهما الآخر .

يتقدم اندريه من نينا ، وينظر اليهـا .
– حسناً ، يانينا ، أنا ذاهب ...
– اذهب ...
ولكنه لم يذهب . وقف مطيلاً النظر اليها .
وتقف على رؤوس اصابعها ، وتقبله من شفتيه بعجالة ، ولكن بقوة . ثم مرة اخرى . وتعرقل التقبيل مقدمة الخوذة الشفافـة المرتفعـة الى فوق . وتقول نينا :
– إذهب ...
ثم يتقدمان من جماعة المودعين رسمياً . وهناك يجري عناق وتقبيل بين الجميع بالدور . ويقول ستيبـان تروفيموفتـش لنيقولاي بخفوت :
– تصحبك السلامة يـا بني ... أنـا في انتظارك ...
ويصعدان السلـم نحـو المصعـد بحركات ثقيلة ، وقبل ان يدخلا القمـرة يستديـران ، ويلوحان بايديهما ، ويلوح المودعون جواباً .
– الى اللقـاء ! – يصيح رئيس لجنـة الدولة فجأة بصوت عال وعلى غير انتظـار .

وفي تلك اللحظة تختفي رصانته . ويرى الجميع ان رئيس لجنة الدولة ايضا رجل بسيط ومنفعل مثلهم . ويضحك الجميع .

٣٨

كانت الشمس مرتفعة عالياً فوق السهب ، والظل الطويل للصاروخ في الصباح ، حين كان فيكتور بويكو يعمل في اعلى نقطة ، عند قسم الاجهزة للمرحلة الاخيرة ، قصر وزحف نحو منضدة الاطلاق . وشعر فيكتور بانه تعب جداً . لم يرد حتى ان ينام ، بل ان يستلقي ويغمض عينيه . إلا ان التعب كان مختلفاً جداً عن تعب يوم أمس . استبدل نفاد الصبر المرعب الواخز للاعصاب بطيبة هادئة . اغلب الظن انه احب حالة الطيبة الهادئة هذه أكثر من كل شيء ، تلك الحالة التي كانت تتملكه دائماً حين كان يعمل كثيراً وبفائدة ، وكان مؤمناً بما يعمل . كل شيء ، كل شيء على ما يرام . الملاحان الكونيان في السفينة . وكل شيء

عندهما على ما يرام . كل شيء في كل مكان على ما يرام . وقد اعلنت ساعة الاستعداد بالفعل . وفكر فيكتور : «بقيت اطول ساعة في حياة اندريه ونيقولاي» . والتفت باحثاً عن زملائه .

يوري مايفسكي . انه هادئ . إنه دائماً يثق بالارقام ، والرسوم البيانية ، والاجهزة . وهو الآن هادئ . أما بوريس فلا يزال في قلق الليلة البارحة ، ما يزال في حركة دائبة . وفجأة تذكر فيكتور معرضاً خاصاً بعام ١٨١٢ في ارميتاج لينينغراد ، صور رفاق كوتوزوف الاسطوريين . لفتة حازمة سريعة لرأس جميل جعد الشعر ، ياقة عالية مطرزة بالذهب مائلة الى جانب . عينان متقلصتان قليلاً جريئتان ببسالة ... فلعل واحداً من اولئك الموجودين في الصور من اجداد بوريس ؟

وجه سيرغي شيرشوف الغاضب الحاد من التعب . إنه يجلس امام المكروفون يرتدي سماعة الاذنين . ويجيب بحدة ودقة وبكلمة واحدة :

— نعم . كلياً . نعم . كلياً ايضاً . نعم . على خط أحمر .

نينا الى جانبه . عندها سماعة الاذنين ايضاً .
إلا انهـا صامتـة . بين الحين والآخر تمرر
عينيها على مقاييس الاجهزة . وفيكتور يعرف
ان ذلك غير ضروري الآن ؛ كل شيء على ما
يرام . والآن سيعلنون نصف ساعة من
الاستعداد . ويغادرون ساحـة الاطلاق .
بوسعهم الآن ان يغادروا . ولكنهم لا يغادرون
حتى يعلنوا عن نصف ساعة استعداداً ...

٣٩

امام المدخل الى ساحة الاطلاق لوحـة
كتب عليها «وصول ـ انصراف» وعليها علقت
ارقام بلاستيكية بيضاء . ومثـل هذه اللوحـة
ضرورية جداً الآن : يعرف في الحال كم عدد
الناس في ساحة الاطلاق . وهناك الآن ، حيث
«الوصول» تتدلى عشرة ارقام تقريباً : اعلنوا
عن نصف ساعة استعداداً وانصرفت جماعـة
باخروشين .

سبعة ارقام : انصرف اخصائيو الاجهزة .
ستة : انصرف موسكفين .
خمسة : انصرف ياخونتوف .
اربعة : انصرف باخروشين .
ثم الكبير ورئيس لجنة الدولة .
رقمان ، رقمان ابيضان بلاستيكيان يتدليان هناك حيث كتب : «وصول» . اثنان باقيان هناك . اثنان لا ينصرفان من هنا . اثنان يطيران من هنا .

٤٠

نقطة القيادة . كبير المصممين عند منظار المراقبة دون ان ينظر فيه .
ويقول شخص وراءه :
— نعلن خمس عشرة دقيقة استعداداً .
وفجأة يرتفع من مكبرة الصوت المقابلة للكبير صوت رازدولين العالي في بحة :
— يا ستيبان تروفيموفتش ، لماذا قطعتم الموسيقى ؟
— سنعزف لك الآن «فوكستروت» —

يقول الكبير وصوته مرح متعمـد . ولا يصدر أي أمر ، ولكن بعد بضع ثوان تعزف الموسيقى «مارش المتحمسين» .

— وهل من الممكن اغنيـة ؟ — يسـأل رازدولين ثانية .

— من الممكن اغنية ايضاً — يقول الكبير . وفجأة ينبعث من مكبرة الصوت :

تعيش حسنائي في قصر عال .

لا يستطيع ان يصل اليها انسان .

ويبتسم ستيبان تروفيموفتش .

٤١

فوق اللوحة الرئيسية لنقطة القيادة تضاء لوحة ساطعـة : «خمس دقائـق استعداداً» . ويراجع المراقب المسؤول عند الميكروفـون الاستعداد :

— القسم الأول ؟

— مستعد ! — تجيب مكبرة الصوت .

— القسم الثاني ؟

— مستعد !

— القسم الثالث ؟

— مستعد !

— جماعة المركز ؟

— مستعدة !

— جماعة ر — ١ ؟

— مستعدة !

— جماعة ر — ٢ ؟

— مستعدة !

— أ — ٨ وأ — ٩ ؟

— مستعد !

— المحيط الهادئ ؟

— مستعد ! مستعد ! مستعـــد ! — نفس الجواب باصوات مختلفة .

— دقيقة استعداداً ! — يقول المراقب المسؤول بصوت عال ، وبفخامة .

عقرب الثواني الكبير الرقيق كالسيف يجري نحو الخط الاحمر . وتغطي الدقات العاليـــة على كل شيء : «تاك ! تاك ! تاك !» ويقرب الموعد ، ويقرب ...

— اطلاق — ارتفع صوت عال ، ولكن هادئ ، مثل صوت ايغور في حجرة الاختبار في تلك المرة . والتصق كبير المصممين بعدسة منظار المراقبة .

ضغطت يد على زر . وسمع الجميع نقرة جوفاء قصيرة ، وفي الحال اشتغلت المحركات . . .

عيون الناس ترى الصاروخ . عيون كبير المصممين ، وباخروشين ، واغاركوف ونينا ، والمهندسين والميكانيكيين ، عيون فقط ، متطلعة ، فرحة ، متعبة ، متهللة ، مفتوحة عن سعة ، متقلصة . عيون مختلفة جداً . وفي هذه العيون شيء مشترك لايلاحظ يوحد في تلك اللحظة هؤلاء الناس المختلفين : انتظار النصر .

والناس ينظرون أعلى فأعلى ، أعلى فأعلى . . .

لا ، ليس الآن رعد الانطلاق ، بل جوقة الاصوات الانسانية الفرحة ترتفع فوق الكوكب ، أعلى فأعلى . . .

سباكو الفولاذ عند النافـورة الناريـة للفرن . يصيح احدهم في اذن الآخر في مرح محاولاً ان يعلو بصوته على ضجة الفولاذ ، ويضحكون ..

فتاة يلتصق عليها فستان بفعل الريح ، تركض على عجل في الحقل نحو آلات الحصاد الكومباين ، نقاط سود لاتكاد تبين في بحر من القمح . فتاة تشبه ربة النصر في اليونان القديمة .

رجل في مريول ابيض ادار رأسه بحدة عن عدسة الميكرسكوب ، بلا ابتسامة قط ، بل بالعكس ، بغيظ .

مضيفة ـ كلها ابتسامة ـ تدخل في صالـون طائرة ركاب وتقول ...

بار اوربـي صغير . جهـاز راديـو صغير . وفجأة وضع الجميع الاقداح ، والقوا الجرائد ، وتحولوا نحو الراديو .

مدينة هائلة . هناك مازال الوقت ليلا .
قبلة العشاق في ظلال الاشجار .وفجأة تظهر حروف صفراء ، واضاءت القبلة ، وتراكضت على شاشة جبارة : New Russian Space ship! Major Vorontsow and capitain Razdolin are flying to Mars!!!

يوقظ بحار رفيقه النائم . والامواج تتقاذف السفينة بقوة . وحين يتكلم يضطر الى ان يمسك بكلتا يديه ...

اطفال عميان في مدرسة يجلسون دون حراك ، ويمدون اعناقهم في انتباه متوتر صعب ، ويلتقطون كلمات المدرسة العجوز .

فيرا فرونتسوفا . انها تضحك ، انها تبكي ، انها لا تعرف ابداً كيف تقف امام العدسات الزرقاء لآلات المصورين .

شقة عائلة رازدولين . والباب مفتوح على مصراعيه . وغرفة غاصة بالناس . نساء يعانقن أم اندريه . وهي تبكي .

من اسطوانة دوارة هائلـــة تخرج النسخ الاولى التجريبية من جريدة «البرافدا» واحدة بعد اخرى . ويأخذ العامل المشرف جريـــدة ، ويديرهـــا : صورتان كبيرتان : فرونتسوف ورازدولين . ويجري الشريط الورقي الذي لا نهاية له مثل شلال رمادي .

وصمت .

في باب احدى غرف المسكن الداخلي في مطار الصواريخ يقف اربعـــة : كودسنيـــك ، وشيرشوف ، ومايفسكي ، وبويكو . انهم ينظرون الى غرفتهم بدهشة ، وكأنما لم يروها من قبل . ودخلوها سوية ، رهطـــاً متكاتفـــاً ، مرعبين ، وسخين ، وسعداء جداً ، ومرهقين للغاية وبشكل لاانساني وتوقفوا في وسط الغرفة ، وكأنمـــا لا يعرفون ماذا عليهم ان يفعلوا الآن . ويتقدم كودسنيك من المنضدة ، ويشرب من فم قارورة الماء ملقياً رأسه الى الخلف محركا جوزة حلقومه غير الحليقة .

— لا بد انه تعفن الآن ، — يقول مايفسكي محذراً .

— انتهى ، — يقول بوريس مسترداً انفاسه ، ويبدأ بخلع قميصه من خلال رأسه . ويخرج فيكتور بويكو سيكارة . ويسحقها باصابعه . ثم يلقيها على المنضدة ، ويذهب الى السرير .

على جدار غرفتهم علقت مكبرة راديو بلاستيكية صغيرة . وتخرج منها اشارات نداء رنانة صافية كالقطرات ، وصوت :

— انتباه ! موسكو تتكلم ! كل اذاعات الاتحاد السوفييتي تعمل ...

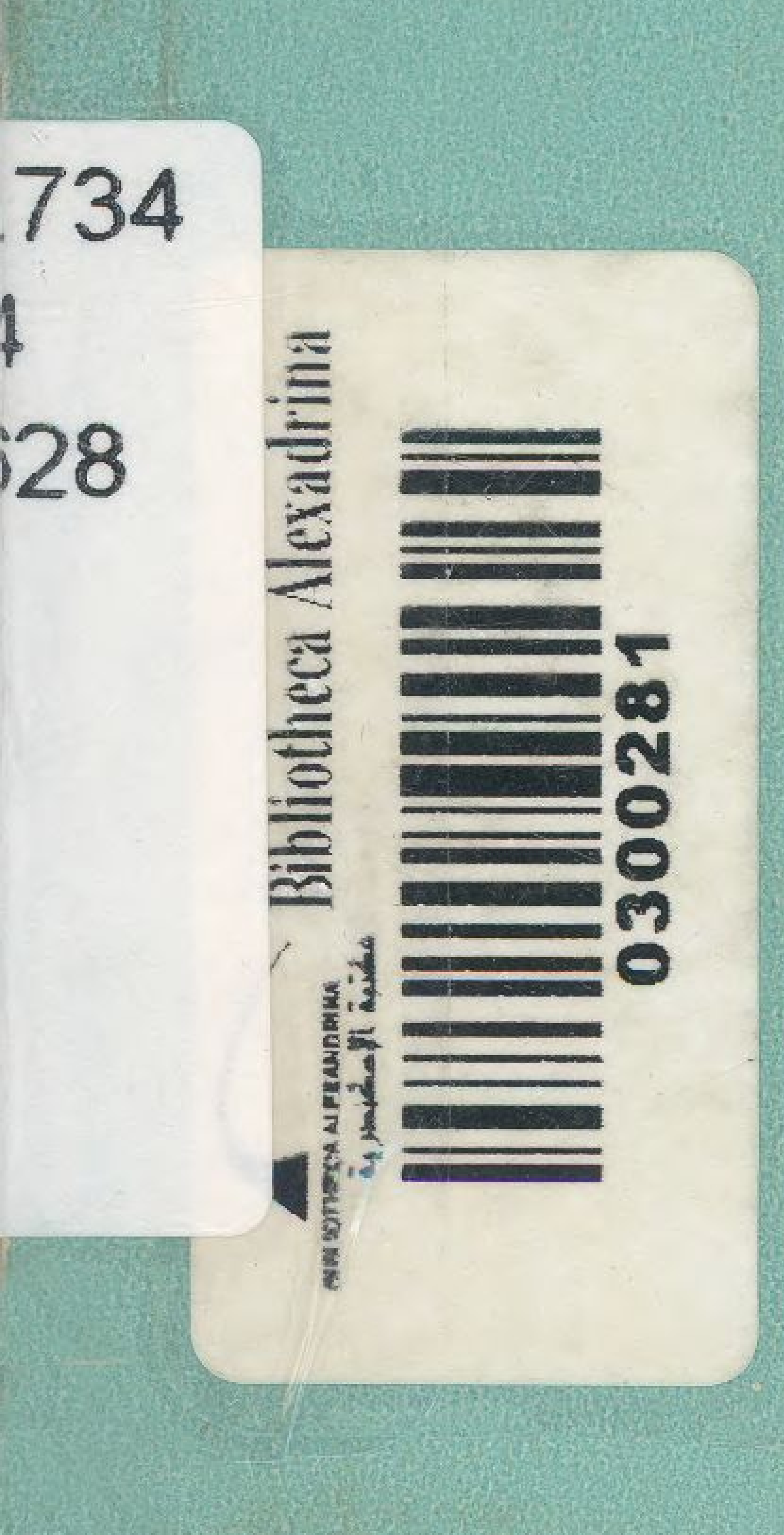
ولا يسمعون . انهم نائمون . تلمّس شيرشوف الحائط بيده دون أن يفتح عينيه ، ووجد مفتاح الراديو ، وسحبه .

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتـــاب وترجمته ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ٢١
موسكو ـ الاتحاد السوفييتي

نشرت قصة «صانعو الرعد» لأول مرة في عام ١٩٦٤ في المجلة السوفييتية المعروفة «يونست» («الشباب»). وقد قدمها الى القراء بطل الاتحاد السوفييتي ، الملاح الكوني الدريان نيكولايف . وقد كتب «ان العلماء والمهندسين واصدقائي الملاحين الكونيين وكلنا جميعاً نحلم بالتحليقات الى الكواكب الأخرى من المجموعة الشمسية . ولم يستهدف المؤلف التحدث عن المشاكل العلمية والتكنيكية المتعلقة بالتحليقات بين الكواكب . بل كانت مهمته الرئيسية نقل جو الخلق ، وتصوير الناس ، ومهندسي الصواريخ الشبان ، صانعي السفن الفضائية» ...


.734
4
528
Bibliotheca Alexandrina
0300281